مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٢)، العدد (٢)، ص ص ١٠٧١-١١٢٦، (ربيع ثاني ١٤٤٠هـ/ ديسمبر ٢٠١٨)

ملامح من أوضاع المرأة المسلمة كما رصدها ابن جبير الأندلسي في رحلته

د. منى بنت حسين بن علي القحطاني
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك بقسم التاريخ/ كلية الآداب
جامعة الأميرة نورة

ملخص البحث. ضمت كتب الرحلات بين طياتها العديد من المعلومات والإشارات عن واقع المرأة العربية المسلمة، وهي جديرة بالبحث ، وبحاجة للمزيد من الدراسة والبحث الذي يكشف الغموض عنها؛ ليطّلع القارئ على أحوال المرأة في المجتمعات العربية في نواحي حضارية مختلفة، وفي حياة العامة بجوانبها الإيجابية والسلبية، وذلك من خلال تتبع رحلة ابن جبير الأندلسي – موضوع هذه الدراسة –الذي عاش في القرن السادس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وقد زار ابن جبير عدداً من المناطق الإسلامية ابتداءً من مصر، ثم بلاد الحجار؛ مروراً ببلاد الرافدين، ثم بلاد الشام، وانتهاءً بمدن صقلية، وقد دوَّن خلالها مشاهداته الحضارية لواقع المرأة مما ساهم بشكل كبير في الكشف عن أحوال المجتمع المسلم، والذي تعتبر المرأة إحدى ركائزه، ويهدف البحث إلى عرض هذه الصور والمشاهدات في تلك الرحلة.

ونتطلع أن تسهم هذه الدراسة في إبراز وتوضيح صور وواقع المرأة في القرن السادس الهجري، كما ستركز الدراسة على الجمع، والبحث ، وتحليل تلك المشاهدات في ضوء ثقافة المجتمع التي كانت سائدة في تلك الفترة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، خاتم النبيين محمد وعلى آله أصحابه أجمعين.

تعد كتب الرحلات بصفة عامة من المصادر الهامة والأساسية لدراسة بعض المجتمعات الإسلامية، والكشف عن تركيبتها الاجتماعية، وبنيتها الاقتصادية، وتعتبر رحلة ابن جبير الأندلسي إحدى الرحلات الكاشفة عن ملامح من أوضاع المرأة المسلمة في البلاد الإسلامية، وتعتمد هذه الدراسة على رصد مشاهدات ابن جبير لأحوال المرأة في البلدان التي مر بها خلال رحلته في القرن السادس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

مشكلة الدراسة

من خلال القراءة الأولية والعامة عن موضوع الدراسة لاحظنا قلة الدراسات الحديثة التي عرضت صورة المرأة في كتب الرحلات، وهذا ما سنحاول استدراكه في هذه الدراسة بتسليط الضوء ، والكشف أوضاع المرأة بشتى جوانبها الإيجابية والسلبية في البلدان الإسلامية من خلال تتبع رحلة ابن جبير.

أهمية الدراسة

- كشف بعض الصور عن واقع المرأة المسلمة في بعض البلدان الإسلامية.
- تسليط الضوء على بعض العادات والمعتقدات الدينية التي تمارسها المرأة، ودورها الاجتماعي والديني في المجتمع.

• إبراز الصور للسلوكيات المتعددة للمرأة المسلمة في الحياة الاجتماعية.

• توضيح مدى مشاركة المرأة المسلمة في الأعمال الخيرية.

منهج الدراسة

سيتم اتباع المنهج الوصفي التحليلي.

تمهيد

بعد استقرار أحوال المسلمين في المدن الإسلامية بعد الفتوحات أخذت الرحلات العربية تزداد بتنوع أغراضها ودوافعها، فظهرت الرحلات الأندلسية، والمغربية إلى المشرق؛ إذ يرى أحد المؤرخين المعاصرين أن رحلة المغاربة إلى المشرق كانت على وجه العموم أكثر من رحلة المشارقة إلى الغرب، فمركز الحج في المشرق، ومدن العلم الأولى فيه؛ فكان من الطبيعي أن يزور المغاربةُ الشرقَ أكثر من زيارة المشارقة لبلادهم[(١)].

وقد تنوعت وتعددت الدوافع والأسباب للقيام بهذه الرحلات فأهمها: الدافع الديني لأداء فريضة الحج، وزيارة المدينة المنورة، والدافع العلمي لطلب العلم من منابعه في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وباقي مدن المشرق الإسلامي كبغداد ودمشق والقاهرة، والاتصال بكبار العلماء الذين تستقطبهم هذه المراكز، كذلك دافع اقتصادي، وهي التجارة والاستيراد والتصدير مع الشرق، إضافة لهذه الدوافع الرئيسية هناك دوافع أخرى حملت الأندلسيين والمغاربة للهجرة

(١) زيادة، نقولا، الجغرافية والرحلات عند العرب، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٢/ ص١٦٧؛ وهناك دراسة وافية ومستفيضة قام بها الدكتور خالد بن عبدالكريم البكر بعنوان، الرحلة الأندلسية إلى الجزيرة العربية (من القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

والرحلات إلى بلاد المشرق كدافع الخوف الناشئ من اضطراب الأمن الداخلي أو زيادة الضغط النصراني على الأندلس في الخارج، أيضاً الفتن الداخلية التي اجتاحت البلاد وغيرها من الأسباب كالخوف من سطوة الحكام وظلمهم ودوافع اجتماعية أخرى(٢).

ونتيجة لذلك ظهرت لنا كتب عن هذه الرحلات كمؤلفات علمية يغلب عليها الجانب الثقافي أكثر منها رحلة أدبية، وقد سميت هذه الكتب بالبرامج، أو الفهارس(٣)، ومن أشهر من كتب فيها ابن جابر الوادي آش(٤)، والرعيني(٥).

---

(٢) الخشني، محمد بن حارث (ت: ٣٧١هـ)، قضاة قرطبة، الدراس المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م، انظر: ملحق رقم (١)؛ أبو الأجفان، محمد الهادي، رحلات الأندلسيين إلى الحرمين، (السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات)، ق٢، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، جـ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٣٨٨ وما بعدها؛ انظر: دوافع الرحلة إلى الجزيرة العربية؛ البكر، خالد عبدالكريم، الرحلة الأندلسية إلى الجزيرة العربية من القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري، مكتبة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص٣٧ وما بعدها.

(٣) البرنامج مرادف لمعنى الفهرسة، وهو كتاب يجمع فيه الشيخ أسماء شيوخه، وأسانيده من مروياته، وقراءته على أشياخه والمصنفات ونحو ذلك، فلفظ البرنامج يستعمله أهل الأندلس كثيراً، والبرنامج يرادف الفهرسة والمعجم والثبت والمشيخة. انظر: الترغي، عبدالله المرابط، فهارس علماء المغرب (منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة –منهجيتها– تطورها– قيمتها العلمية، (منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان)، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٣٠-٣٤. الكتاني، عبدالحي عبد الكبير، فهرس الفارس ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، (اعتناء، إحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٢م، ج١، ص٦٧-٧١.

(٤) ابن جابر الوادي آش: هو محمد بن جابر بن محمد بن قاسم القيسي الوادي آشي، ولد سنة ٦٧٣هـ، توفي سنة ٧٤٩هـ، رحالة أندلسي ولد في تونس واشتهر بمدينة (وادي آش) تلقى تعليمه على يد علماء تونس ومشايخها، رحلته الأولى إلى المشرق سنة ٧٢٠هـ والثانية سنة ٧٣٤هـ وكان سبب خروجه في كلتا الرحلتين هو الحج وطلب العلم، له العديد من المؤلفات أهمها، برنامجه: انظر:- الوادي آشي، محمد بن جابر القيسي، (ت: ٧٤٩/١٣٤٨م)، برناج الوادي آش، (تحقيق: محمد محفوظ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، ص٩-١٠؛ ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، د.ط،=

أيضاً مؤلفات عن الرحلات هي الرحلات الوصفية، والتي يهتم مؤلفوها بالجانب الثقافي، وتشتمل هذه الرحلات على الجوانب التاريخية القديمة، والمعاصرة للرحلة، والنواحي الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، ومن أشهر من كتب عنها ابن جبير –محور هذه الدراسة - ، في المقام الأول بين الرحالة، ثم ابن رشيد السبتي[٦]، والتجيبي[٧] وغيرهم[٨].

لذلك فإنه يمكننا القول إن كتب الرحلات وما فيها من معلومات تفيد الباحثين، تعد منابع فنية بمختلف مظاهر حياة المجتمعات البشرية بما فيها من صور،

= ج٣ / ص٤١٣-٤١٤.؛ ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله (ت: ٧٧٦هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، (تحقيق: محمد عبدالله عنان)، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ط١،١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ج٣، ص١٦٥.

(٥) الرعيني: هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الإشبيلي، ولد في شعبان سنة ٥٩٢هـ، تنقل في داخل الأندلس والمغرب وتوفي سنة ٦٦٦هـ. انظر: الرعيني، علي بن محمد الأشبيلي (ت٦٦٦هـ)، برنامج شيوخ ابن الفخارالرعيني، (تحقيق: إبراهيم شيوخ)، (مجلة معهد المخطوطات العربية)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٢م، مج٥، ج١، ص ١٠٣.

(٦) السبتي: هو محمد بن عمر بن رشيد السبتي، ولد سنة ٦٥٧هـ بدأ رحلته سنة ٦٨٣هـ، خرج من فاس واتجه شمالاً إلى مدينة سبته، وسافر إلى المرية، ومنها إلى بجاية، ومنها إلى مدن أخرى، توفي سنة ٧٢١هـ.

انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ٤٤٥ وما بعدها؛ السلاوي، شهاب الدين أحمد بن خالد الناصري (ت: ١٣١٥هـ)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، ٢٠٠١م، ج٨، ص٤١١.

(٧) التيجيبي: القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي ولد سنة ٦٦٦هـ، وتوفي سنة ٧٣٠هـ، وهو من أهل سبته من بني تجيب، بدأ رحلته إلى المشرق سنة ٦٩٦هـ أطلق على رحلته "مستفاد الرحلة والاغتراب"، في ثلاثة مجلدات ضخمة، رافقه في رحلته الكاتب خلف الغافقي القتبوري الأشبيلي.

انظر: التجيبي، القاسم بن يوسف السبتي (ت:٧٣٠هـ)، مستفاد الرحلة والاغتراب، (تحقيق: عبدالحفيظ منصور)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٧٥م، ص مقدمة المحقق ب، ج.؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٣، ص٣٢٤-٣٢٥؛ السلاوي، الاستقصا، ج٣، ص٧٧.

(٨) الشوابكة، نوال عبدالرحمن، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية (حتى نهاية القرن التاسع الميلادي)، دار المأمون للنشر، والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، ص٣٧ وما بعدها.

وأخبار، وعلوم، ومعارف، ومظاهر ثقافية، وحضارية؛ فهي خزائن تحفل بالمعلومات الفنية الثرية، وهي تعكس صورة الإنسان عبر العصور والأزمنة.

صور المرأة في كتب الرحلات:

حوت كتب الرحلات على مشاهدات كثيرة متعددة عن المرأة جديرة بالبحث والدراسة، لاسيما أن هذه المشاهدات تعتبر من أهم المصادر التاريخية الثقافية المعاصرة؛ للكشف عن تكوين المجتمع وعلاقه بالمرأة قديماً وحديثاً، فوجدنا صورة المرأة المثقفة الشاعرة، وصاحبة العلم والدين، والراوية للأحاديث، وزيارة الأماكن المقدسة(٩)، كما رصدت مشاهد المرأة عند الطواف، وأداء مناسك الحج والعمرة(١٠)، كما ارتبطت مكانة المرأة في بعض المجتمعات الإسلامية بالاهتمام بتعليمها وتثقيفها الثقافة الدينية، حيث خصصت لهن مراكز تعليمية لرعايتهن، والإشراف على تعلمهن وتحفيظهن القرآن الكريم(١١).

أيضاً كشفت بعض كتب الرحلات عن عظم مكانة المرأة في بعض المجتمعات، فكانت أعظم شأناً من الرجل، كما في بلاد الترك، وبعض مدن المغرب(١٢)، كما كانت تعمل خارج المنزل، وتشارك في التجارة والبيع وغيره(١٣)، كذلك شاركت الرجل في ركوب الخيل، والرماية، والقتال، كما

(٩) ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي (ت:٧٧٩هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (اعتني به وارجعه، درويش الجويدي)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٤م، ج١، ص٣٥٠؛ البكر، الرحلة الأندلسية إلى الجزيرة العربية، ص٥٢-٥٤.

(١٠) التجيبي، مستفاد الرحلة، ص ١٥٩-١٤٥-٤٣٩-٤٤٠.

(١١) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص١٥٨.

(١٢) ابن بطوطة، الرحلة، ج١، ص٣٠١؛ ج٢، ص ٢٨٧.

(١٣) ابن بطوطة، الرحلة، ج١، ص ٣٠١؛ ج٢، ص ١٧٨.

هو الحال عند نساء الترك، وبلاد الصين[١٤]، بل تجاوزت الرجل في مهنة حراسة القوافل وتفوقت عليه[١٥].

كما أن المرأة لم تغفل عن الجانب الأنثوي فيها، فكانت تهتم بحسنها وجمالها، فقد كانت نساء مكة المكرمة يكثرن من التطيب لدرجة أن إحداهن قد تبيت طاوية (أي جائعة) وتشتري بقوتها طيباً[١٦].

كما نجد أن المرأة قد دخلت ميدان السياسة، وتولت مقاليد الحكم في بعض البلدان، فكانت تصدر الأوامر السلطانية نيابة عن السلطان وباسمه، كما شاركت في الأمور العامة، وقد تلجأ إلى تدبير المؤمرات ضد السلطان من أجل مصالحها[١٧].

وعلى النقيض من ذلك نجد أن بعض الرحالة دون مشاهداته على صور الفساد للمرأة في بعض مدن السودان، حيث كانت تقيم مع الرجال دون صداق، فيدخل الرجل بيته فيجد امرأته ومعها صاحبها، فلا ينكر ذلك[١٨]، كما كانت النساء في بعض بلدان آسيا الصغرى يدخلن الحمام مع الرجال، فمن أراد الفساد فعل ذلك من غير منكر عليه[١٩].

ومن صور الفساد التعري، حيث كانت النساء تظهرن للعامة باديات العورات دون ستر، فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن، ومنهن بعض نساء

---

(١٤) ابن بطوطة، الرحلة، ج١، ص٢٧٩؛ ج٢، ص٢٢٠.

(١٥) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص ٢٧٩.

(١٦) العبدري، أبو عبدالله محمد بن محمد العبدري، (ت: ٧٠٠هـ)، الرحلة المغربية، (تحقيق: محمد الفاسي)، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الرباط، ١٩٦٨هـ، ج١، ص١٣٦.

(١٧) ابن بطوطة، الرحلة، ج١، ص٢٤٠-٣٠٦؛ ج٢، ص١٠٩.

(١٨) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٢٧٢؛ التجيبي، مستفاد الرحلة، ص٢٠١.

(١٩) ابن بطوطة، الرحلة، ج١، ٢٦١-٢٦٢.

المالديف اللاتي لا يلبس أكثرهن إلا فوطة واحدة تسترها من السرة إلى أسفل، وسائر أجسادهن مكشوفة كما يمشين في الأسواق عاريات[٢٠].

وهذه من المفاسد والمناكر المحرمة شرعاً ومخالفة للعادات والتقاليد الإسلامية، والتي استوقفت الرحالة المسلمين خلال رحلاتهم ولم يمروا عليها مرور الكرام، بل أشاروا إليها حيث أثارت تعجبهم واستنكارهم، فكانوا المرأة الصادقة لرصد واقع المرأة السلبي والإيجابي.

ونلاحظ مما سبق ذكره أن صور المرأة عند الرحالة جاءت متنوعة ومختلفة من مكان لأخر حيث كشفت مكانة المرأة والتي كانت ما بين التقدير والتمكين وعظم المكانة وبين الانحطاط والفساد في مجتمعات أخرى.

كما أن هذه الصور والمشاهدات التي رصدها الرحالة أعطت صورة واضحة عن أحوال المجتمعات والبنية الاجتماعية والذهنية لها، والمرتبطة بالمرأة قديماً وحديثاً، وهذه الصور لا تكشف فقط عن ثقافة المجتمع وأحواله، بل لذهنية الرحالة ووعيه الثقافي أيضاً[٢١].

رحلة ابن جبير الأندلسي (٥٧٨-٥٨١هـ/ ١١٨٣-١١٨٥م):

هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد بن محمد بن مروان بن عبدالسلام الكناني[٢٢]، رحالة أندلسي،

---

(٢٠) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ١٧٧-٢٧٢-٢٨٢؛ التجيبي، مستفاد الرحلة، ص٢٠٦.

(٢١) السري، أحمد علي، صورة المرأة في كتب الرحلة في عصر الحضارة الإسلامية، مجلة كان التاريخية، ع٣١، س٩، ٢٠١٦م، ص٩.

(٢٢) التجيبي، مستفاد الرحلة؛ ص ٢٤٣. وهو من أوائل الذين ترجموا لابن جبير حيث نقل نسبه من كتاب ابن فرتون المفقود "الذيل على الصلة"؛ انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٢٣٠.

ينتسب إلى مدينة شاطبة[٢٣]، ولد في مدينة بلنسية[٢٤] في شهر ربيع الأول سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م، وقيل سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م[٢٥].

نشأ ابن جبير في كنف والده الذي يعد من أبرز أعيان وكُتاب مدينة شاطبة[٢٦]، وبعد أن تلقى تعليمه فيها تنقل في عدد من المدن الأندلسية، والأفريقية، فسكن بلنسية فترة من الزمن، ثم غرناطة[٢٧]، وسبته[٢٨].

---

(٢٣) شاطبة: مدينة تقع في شرق الأندلس، اشتهرت في العصر الإسلامي بصناعة الورق الذي اشتهر باسمها الشاطبي، ينتسب إليها العديد من العلماء منهم أبو القاسم الرعيني الشاطبي.
الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحمودي (ت: ٥٤٨هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، مج٢، ص٥٥٦؛ الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي البغدادي(ت:٦٢٦هـ)،معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٣، ص٣٠٩؛ القزويني، زكريا بن محمد محمود (ت: ١٢٨٣هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ص ٥٣٩.

(٢٤) بلنسية: تقع شرق الأندلس على بعد ٤كم من ساحل البحر الأبيض المتوسط تمر بأراضيها العديد من الأنهار، وتحيط بها البساتين الخصبة. – الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٩٠؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٣٩.

(٢٥) ابن الخطيب، الأحاطة، ج٢، ص٢٣٩.

(٢٦) المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ) ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، (تحقيق: إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨، ج٢، ص ٣٨٢.

(٢٧) غرناطة: مدينة تقع في جنوب الأندلس بالقرب من البيرة، ويطل على غرناطة جبل يسمى جبل الثلج، يمر بها نهر قلوم المشهور بأنه يلفظ برادة الذهب الخالص، من أهم أعمالها شلوبنية، وهو حصن بحري على نهر الزقاق.
الأدريسي نزهة المشتاق، م٢، ص٥٦٩؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٤٧.

(٢٨) سبته: مدينة مغربية تقع على البحر المتوسط، مطلة على مضيع جبل طارق، وتسمى عدوة المغرب، وهي مدينة عظيمة حصينة مبنية من الحجارة يكثر بها البساتين والثمار.
ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت: ٣٦٧هـ)، صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص٧٩؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٣٣.

وفاس[٢٩]، وتقلد العديد من المناصب الكتابية[٣٠].

اتصف ابن جبير بصفات[٣١]أهلته ليتولى العديد من المناصب المهمة في بلاد الأندلس[٣٢].

(٢٩) فاس: هي حاضرة بلاد المغرب، اجتمع فيها علم القيروان، وعلم قرطبة، كانت قاعدة المغرب قبل أن تنشأ مدينة مراكش، من أشهر معالمها الثقافية والفكرية جامعة القرويين، ومازالت موجودة بهذا الاسم إلى اليوم.

المراكشي، عبدالواحد بن علي (ت: ٦٤٧هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، (تحقيق: محمد سعيد العريان)، لجنة تحقيق التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ص ٤٤٣-٤٤٤؛ ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت: ٣٦٧هـ)، صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، ص٨٩.

(٣٠) يعتبر منصب الكتابة من أهم المناصب في بلاد الأندلس، وكان من يتولاها لابد أن تتوفر فيه مواصفات معينة كالعلم، والمعرفة، والثقافة، والأمانة، والنباهة، والأدب، وهو من المناصب المهمة لدى الحكام والأمراء.

(٣١) ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن القاضي المكناسي (ت ق ٧هـ)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،١٩٧٣م، ج١، ص٢٧٨؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ٢٣١؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٩٥-٢٩٦

(٣٢) تولى منصب الكتابة لدى حكام الدولة الموحدية الذين جاؤوا بعد المرابطين في حكم بلاد المغرب والأندلس. ابن عذاري، أبو العباس أحمد المراكشي (كان حياً سنة ٧١٢هـ)، البيان المغرب (قسم الموحدين)، (تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، ص٤٥-٧٩؛ الزركشي، أبوعبدالله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحديةوالحفصية، (تحقيق: محمد ماضور)، المكتبة العتيقة، تونس، ص٢، ١٩٦٦م، ص٥ وما بعدها؛ مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، د.ن، ط٢، مدريد، ١٩٨٦م، ص ٤٢٩.

توفي رحمه الله في الإسكندرية ليلة الأربعاء التاسع والعشرين من شهر شعبان سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، وقد ناهز الأربعة والسبعين عاماً[٣٣].

وكان لابن جبير ثلاث رحلات مشهورة قام بها إلى منطقة الحجاز، ومروراً بالعديد من المدن الإسلامية، ولم يدون سوى رحلته الأولى إذ ليس هناك معلومات كافية عن رحلتيه الأخيرتين إلا ما جاء متناثر في طيات الكتب المترجمة له[٣٤]، و لكن أشهرها رحلته الأولى التي دوَّنَ أخباره، ومشاهداته فيها على شكل مذكرات يومية تعرف باسم "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، أما عن سبب رحلته الأولى فأوردها لنا المقري في كتابه[٣٥]، وكان الغرض من الرحلة هو أداء فريضة الحج وكفارة لذنبه، فبدأ رحلته يوم الاثنين التاسع عشر من شهر شوال سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م[٣٦].

(٣٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٢٣٩؛ المنذري، ذكي الدين أبو محمد عبدالعظيم عبدالقوي (ت: ٦٥٦هـ) التكملة لوفيات النقلة، (تحقيق: بشار عواد معروف)، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٢، ص٤٠٧؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، العبر في خبر من عبر، (تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ج٣، ص١٦٣.

(٣٤)الشوابكة، أدب الصلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص٢٨؛ نواب، عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين (دراسة تحليلية نقدية مقارنة)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٩٣.

(٣٥) نفح الطيب، ج٢، ص ٣٨٥-٣٨٦.

(٣٦) رداوي، محمد، الرحلات العربية والإسلامية وأعلامها في الأدب العربي القديم والمعاصر، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ/١٩٩٥م، ص٢١؛ حسين، حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٩.

وقد استغرقت رحلته إلى المشرق ثلاث سنوات (٥٧٨ - ٥٨١هـ/١١٨٣ -١١٨٥م)، خرج فيها من غرناطة مروراً بالديار المصرية، والديار الحجازية، حيث بقي فيها ثمانية أشهر وثلث شهر[٣٧]، ثم مر على بلاد العراق، والشام، ومنها سافر بحراً عن طريق صقلية فوصل بلاده في الخامس عشر من محرم سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م[٣٨].

وقد حظيت هذه الرحلة باهتمام وعناية المؤرخين والجغرافيين، وكل من أراد الإطلاع على أحوال تلك الحقبة، كما اهتم بها المستشرقون، فنُشِرتْ في عدة إصدارات، وتُرجمتْ إلى لغات عدة[٣٩]، كما ضمت الرحلة على العديد من المعلومات القيمة المتنوعة في شتى النواحي السياسية والحضارية[٤٠].

أما الرحلة الثانية لابن جبير فقد كان الدافع لها هو ما بلغه من أخبار فتح صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)، وقد استغرقت عامين (٥٨٥ -٥٨٧هـ/١١٨٩ -١١٩١م)، فخرج من غرناطة للمرة الثانية يوم الخميس التاسع من شهر ربيع الأول سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، وعودته إليها سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م، وقد تمكن خلالها من أداء مناسك الحج[٤١].

---

(٣٧) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني البلنسي (ت: ٦١٤هـ)، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار (رحلة ابن جبير)، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ١٦١.

(٣٨) حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص١٩؛ رداوي، الرحلات العربية والإسلامية وأعلامها، ص٢١.

(٣٩) انظر: ابن جبير، الرحلة، ص٦؛ كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليا نوفس، تاريخ الأدب الجغرافي، (نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم)، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م، ص٣٣٤.

(٤٠) نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص٩١.

(٤١) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٢٣٢؛ كراشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ص٣٣٣.

وفي عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م قام ابن جبير برحلته الثالثة، وكان سبب رحلته - على ما يبدو - وفاة زوجته، حيث خرج من الأندلس، وأمضى أكثر من عشر سنوات متنقلاً بين مكة، وبيت المقدس، والقاهرة مشتغلاً بالتدريس، والعلم، والاهتمام بالأدب حتى وفاته في مدينة الاسكندرية سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م رحمه الله(٤٢).

أما مؤلفاته فلم يصلنا أخبار إلا عن تدوينه لرحلته الأولى تذكرة الأخبار عن اتفاق الأسفار(٤٣)، أو رحلة الكناني(٤٤)، وله أيضاً رسالة مختصرة اسمها "رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك" كتبها سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م(٤٥)، وديوان شعري يعرف بـ "نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان(٤٦)، و"نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح"(٤٧).

---

(٤٢) المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٤٨٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٢٣٢.

(٤٣) ابن جبير، الرحلة، ص ٧؛ حميدة، عبدالرحمن، أعلام الجغرافيين العرب ومقتضبات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، ص٣٣٣.

(٤٤) حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار العلوم الحديثة، بيروت، د.ط، ج١، ص٨٣٦؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص٢٩٩.

(٤٥) المراكشي، أبو عبدالله محمد بن عبدالملك الأنصاري (ت: ٧٠٣هـ)، الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، (تحقيق: إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥، ج٥، ق٢، ص٦٠٤.
وتعتبر هذه الرسالة واحدة من أهم المصادر التي ألقت الضوء على بعض علاقات المسلمين بالصليبيين تحت نفوذ الحكم الصقلي النورماني في الربع الأخير من القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي.
- الجمحة، نواف عبدالعزيز، صورة أوضاع المسلمين تحت الإدارة الصقلية النورمانية من خلال رحلة ابن جبير، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٠٤م، ص١.

(٤٦) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج١، ص٣٧٨.

(٤٧) أرسلان، شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المطبعة الرحمانية، مصر، ط١، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ج٣، ص١١٨.

وقد أشاد بعض المؤرخين القدامى، والمعاصرين برحلة ابن جبير، فنوه المقري بانتشارها بين القراء في عصره حيث قال: «وله رحلة مشهورة، بأيدي الناس»[٤٨]، كما وصفها أحد المعاصرين بأنها كنز حافل بالمعلومات من كل صنف[٤٩]، ونتيجة لذلك كثر الأخذ والاستفادة عن هذه الرحلة، وعظمت العناية بها[٥٠].

وبهذه الرحلة فإن ابن جبير يبرز في مجال التأليف في الجغرافية التاريخية، وإن لم تكن مادة كتابه جغرافية بحتة حيث يغلب عليها الآثار والتاريخ[٥١]، كما امتازت رحلته بالكثير من المميزات التي زادت من قيمتها العلمية، وجعلتها تتبوأ المقام الأول بين كتب الرحلات الوصفية، ومنها:

-حرص ابن جبير في تدوينه ليوميات رحلته على توثيقها بالتاريخ الهجري والميلادي، «وهو في هذه الثانية يكتب الشهور الميلادية على نحو قريب جداً مما نستعمله اليوم»[٥٢].

---

(٤٨) نفح الطيب، ج٢، ص ٣٨٦؛ وانظر: الإحاطة، ج٢، ص٢٣٠-٢٣٩.

(٤٩) مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، ص ٥١٩؛ نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص٧٩.

(٥٠)كما أشاد بهذه الرحلة أحد المؤرخين المعاصرين في دراسته النقدية لابن جبير، حيث قال: «لا نعتبر رحلة ابن جبير مصدراً تاريخياً لمعرفة أحوال بعض المجتمعات الإسلامية في الشرق العربي في القرن السادس الهجري وحسب، ولكننا نعتبرها كذلك فناً أدبياً جمع كاتبه بين دقة الوصف، وجمال التعبير، وحسن العرض».

- موافي، عثمان، لون من أدب الرحلة (دراسة نقدية)، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط١، ١٩٩٨م، ص٣٥.

(٥١) مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص ٤٣٨.

(٥٢) مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص ٤٣٩.

-أن ما أعطاه ابن جبير من وصف جغرافي للمناطق والمدن التي زارها هي غاية في الدقة، والصدق، والفائدة، حيث كان دقيق الملاحظة في كل ما يتصل بالمظاهر الجغرافية، فكان لا يصل إلى بلد إلا ويعطي وصفاً دقيقاً عنها في كلمات مختصرة(٥٣).

-أن ما سجله ابن جبير عن السفن، والبحر، وأوصافه، وأهواله يعتبر غاية في الأهمية في مجال الملاحة في البحرين الأبيض والأحمر في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي(٥٤).

-دقة ابن جبير واهتمامه بوصف المدن التي دخلها، فكان يصف سكانها، وآثارها، ومعالمها الدينية، وأسواقها، ومساجدها، وحالة أهلها المعيشية(٥٥).

-كثيراً ما كان يضمن ابن جبير كلامه بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية في أماكن وأحداث مناسبة في كتابه(٥٦).

-اهتمام ابن جبير في تسجيل النواحي الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية بأسلوب واضح سهل خالٍ من التكلف والمبالغة مما أعطى رحلته قيمة علمية نافست من جاء بعده من الرحلات(٥٧).

-تخللت رحلة ابن جبير الكثير من كلمات المدح والثناء على الأموات والأحياء من الصالحين والأتقياء، كما لا تخلو رحلته من بعض المبالغات،

---

(٥٣) انظر: ابن جبير، الرحلة، ص ٣٤ وما بعدها، ٤٠-٥٨ وما بعدها.

(٥٤) مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص ٤٤٢.

(٥٥) ابن جبير، الرحلة، ص ٥٨ وما بعدها.

(٥٦) ابن جبير، الرحلة، ص ٦١-٦٥-٦٧-٧٣-٨٤ وما بعدها، ص ١٦٤-١٨٠-٣٠٧-٣١٥.

(٥٧) انظر الرحلة، ص ٢٢-٩١-١١٣ وما بعدها، ص٢١٢-٢٤٦.

والتي قد تصل إلى حد التهويل والاندهاش لما يشاهده مظهراً بذلك إعجابه، أو استنكاره لما شاهده ويصفه(٥٨).

-كثرة المحسنات البديعية الأدبية كالاستعارة، والسجع دون تكلف الذي يسهل فهمه، كما أنه يقدم للقارئ معلومات ببراعة وحسن تصوير، ووصف صادق قدر المستطاع، كما كان كثيراً ما يستند على الاقتباسات الأدبية، والإشارات اللطيفة مما يتطلب درجة معينة من المعرفة والإطلاع حتى يصبح المعنى مفهوماً، وواضحاً للقارئ.

وأخيراً فإنه بالرغم من وجود بعض الهفوات والأخطاء التي وقع فيها ابن جبير إلا أن كتابه الذي دوّن فيه مشاهدات رحلته يعد مصدراً مهماً لا يستغني عنه أي مؤرخ، أو جغرافي، أو أديب بدراسة فترة مهمة من فترات الشرق الإسلامي، وقد استفاد منها الكثير ممن جاؤوا بعده.

الامتداد الجغرافي والوصفي لرحلة ابن جبير:

غطى ابن جبير بأوصافه مجالاً جغرافياً ضخماً بدأه من مصر، ثم بلاد الحجاز، والعراق، وبلاد الشام، وصقلية، وقد وصف في هذه الرحلة كل ما مرّ به من مدن، وما شاهده من عجائب البلدان، وغرائب المشاهد، والأحوال السياسية، والاجتماعية، والأخلاقية، وعني عناية خاصة بوصف النواحي الدينية، والمساجد، وقبور الصحابة، ومناسك الحج، ومجالس الوعظ، والمارستانات، كما وصف الكنائس، والمعابد، والقلاع، وأهوال البحر، والعواصف البحرية، وما كابده المسافرون من ضيق وذعر، وذكر الحروب التي كانت دائرة في الشرق بين المسلمين والمسيحيين، وما كان عليه الأهالي مسلمين

(٥٨) انظر الرحلة، ١٠٧-١٥٨-١٥٩-١٦٤-٢٥٩-٢٦٨-٢٧٨.

ومسيحيين من علاقات حسنة خلال تلك الحروب[٥٩].ووصف ابن جبير لكل ما شاهده امتاز بالدقة والإسهاب والتفصيل مما يدل على دقة ملاحظته، وسعة علمه.

أما وصفه للمرأة في رحلته؛ فقد جاءت متنوعة ومختلفة، فظهرت المرأة المثقفة المتعلمة، وصاحبة الجاه والثراء، والمتدنية الحريصة على أداء الفريضة، وزيارة الحرمين الشريفين[٦٠].

كما ركز ابن جبير في مشاهداته لصور المرأة على كل ما هو بارز وخارج عن المألوف أو الاستثنائي، وتجاهل المشاهدات اليومية المعتادة، وهذه الصور الاستثنائية هي ما نود تسليط الضوء عليه في الأسطر القادمة؛ لأهميتها، وقيمتها التاريخية، والعلمية ضمن اتساق التاريخ الاجتماعي والحضاري للمسلمين.

– أوضاع المرأة في مصر:

وصل ابن جبير إلى مدينة القاهرة، حيث زار منطقة الجبانة المعروفة بالقرافة[٦١]، ثم أشار إلى زيارته لمشاهد الشريفات العلويات رضي الله عنهن، مشهد السيدة أم كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر، ومشهد السيدة زينب بنت يحيى بن زيد بن علي بن الحسين، ومشهد أم كلثوم بنت محمد بن جعفر

(٥٩) ابن جبير، الرحلة، ص ٦.

(٦٠) ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٧-١١٠-١١٣.

(٦١) ذكر ابن جبير: أنها «إحدى عجائب الدنيا لما تحتوي عليه من مشاهد الأنبياء صلوات الله عليهم، وأهل البيت رضوان الله عليهم، والصحابة، والتابعين، والعلماء، والزهاد، والأولياء ذوي الكرامات الشهيرة، والأنباء الغريبة». الرحلة، ص ٢٠.

الصادق، ومشهد السيدة أم عبدالله بنت القاسم بن محمد، رضي الله عنهم جميعاً[٦٢].

كما ذكر مشهد السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها[٦٣]، وغيرها من المشاهد لنساء صالحات يتبارك بها الناس في مصر[٦٤].

وهذه المشاهدات التي رصدها ابن جبير حول تبارك العامة عند قبور الصالحات هي من صور البدع الباطلة والمنهي عنها، ولم يأمر بها ديننا الإسلامي، وقد انتشرت للأسف في بعض المدن الإسلامية.

كذلك أشار ابن جبير إلى إحدى المارستانات في مدينة القاهرة حيث وصف مكانه، واتساعه، وجماله، وما فيه من خدمات تقدم للمرضى، ومن ضمنها قسم خاص للنساء، حيث قال: «وبإزاء هذا الموضوع موضوع مقتطع للنساء المرضى، ولهن أيضاً من يكفلهن»[٦٥]. وهذه دلالة على الحرص على سلامة المرأة، وتوفير كافة الخدمات لها، وأيضاً من يقوم على رعايتها.

وفي مكان آخر من الرحلة يرصد لنا ابن جبير صور جمالية للمرأة المصرية، حيث يصف لنا نساء مدينة قنا[٦٦]، ودشنة المصرية[٦٧]، فوصف

---

(٦٢) ابن جبير، الرحلة، ص ٢١.

(٦٣) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢.

(٦٤) انظر: ابن جبير، الرحلة، ص ٢٣.

(٦٥) الرحلة، ص٢٦.

(٦٦) قنا: هي إحدى مدن الصعيد في جنوب مصر وصفها ابن جبير بأنها مدينة بيضاء أنيقة المنظر ذات مبانٍ حفيلة.

- الرحلة، ص٤٠.

(٦٧) دشنة: تقع في الشط الشرقي من النيل، وهي مدينة مسورة فيها جميع المرافق التي توجد بالمدن.

- ابن جبير الرحلة، ص٤٠.

حشمتهن، وعفافهن، وقرارهن في بيوتهن، وربما أن يكون ذلك عكس ما شاهده من سلوك في القاهرة، والاسكندرية[٦٨]، وهو ما لفت نظره فاستحق أن يدونه في رحلته وينوه عنه، وكما سبق أن ذكرنا أنه اهتم بتسجيل كل ما يلفت نظره ويعتبره استثنائياً وغير مألوف، حيث قال: «ومنها مدينة قنا، وهي من مدن الصعيد، ...ومن مآثرها المأثورة صون نساء أهلها، والتزامهن البيوت، فلا تظهر في زقاق من أزقتها امرأة البَّتة، صحت بذلك الأخبار عنهن، وكذلك نساء دشنة المذكورة قُبيل هذا، وهذه المدينة المذكورة في الشط الشرقي من النيل، وبينها وبين قوص نحو البريد»[٦٩]. ويمكن أن نربط بين ما ذكره ابن جبير من حشمة وعفاف نساء قنا ودشنة، وبين قناعته الدينية، وهي التي ترى أن لا مكان للنساء المسلمات في الشوارع، وفي الساحات العامة، بل في القرار في البيوت صوناً وعفافاً لهن، وحتى لا يكن عرضة لضعاف النفوس وللرذيلة.

– أوضاع المرأة في بلاد الحجاز:

غادر ابن جبير مصر إلى بلاد الحجاز فوصل مدينة جدة[٧٠] يوم الثلاثاء الرابع من شهر ربيع الآخر سنة ٥٧٩هـ، الموافق للسادس والعشرين من شهر يوليو سنة ١١٨٣م[٧١].

---

(٦٨) الاسكندرية: مدينة من ديار مصر، تنسب إلى الاسكندر المقدوني الذي بناها، طولها إحدى وخمسون درجة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة، وهي مدينة ساحلية من أجل المدن المصرية.
– أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١١٣؛ الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٨٩.

(٦٩) ابن جبير، الرحلة، ص٤٠.

(٧٠) وعرفها ابن جبير بقوله: «قرية على ساحل البحر الأحمر أكثر بيوتها أخصاص، وفيها فنادق مبنية بالحجارة والطين، وفي أعلاها بيوت من الأخصاص كالغُرف، ولها سطوح يُستراح فيها بالليل من أذى الحر».
– الرحلة، ص٥٣.

(٧١) ابن جبير، الرحلة، ص٥٢.

وأول ذكر للمرأة عند وصفه لأحوال "الأشراف العلويين" الساكنين في جدة حيث وصف ابن جبير حالهم بشيء من الحسرة والتألم لما يعانونه من شظف العيش، والمعاناة بحال يتصدع له الجماد إشفاقاً على حد قوله[٧٢]، فمن شدة فقرهم أنهم - أي الأشراف العلويين - يستخدمون أنفسهم في كل مهنة من المهن، فيكرون الجِمَال، أو يبيعون الماء، واللبن، ويحتطبون الحطب، وربما عمل بذلك نساؤهم الشريفات، فسبحان المقدر لما يشاء[٧٣]، فبهذه الصورة يكشف ابن جبير للقارئ الحالة التي يعيشها الأشراف في تلك الفترة من شظف العيش، والعوز، والفاقة لدرجة أن نساءهم عملن بأيديهن في الاحتطاب، وهو عكس ما كان يراه عامة المسلمون.

يصل ابن جبير بعد ذلك إلى مكة قادماً من جدة، وتستمر إقامته بها ثمانية أشهر وثلث الشهر، وقد حدد هذه المدة بنفسه قائلاً: «فكانت مدة مقامنا بمكة قدسها الله، من يوم وصولنا إليها، يوم الخميس الثالث عشر لربيع الآخر من سنة تسع وسبعين، إلى يوم إقلاعنا من الزاهر، ...ثمانية أشهر وثلث شهر»[٧٤].

وكون أن مجتمع مكة يختلف عن غيره من المجتمعات الإسلامية الأخرى، حيث أن له عادات وتقاليد اجتماعية حسنة قلما نجدها في غيرها من المجتمعات، وقد يكون السبب في ذلك هو المكانة الدينية لها لوجود قبلة المسلمين الكعبة المشرفة، ومهبط الوحي وعليها ولد أشرف الخلق والمرسلين، فتأثر أهلها واكتسبوا

(٧٢) الرحلة، ص٥٣.

(٧٣) ابن جبير، الرحلة، ص٥٣.

(٧٤) الرحلة، ص١٦١.

الصفات الطيبة والخصال الحميدة[٧٥]، كما اتصف نساءها كذلك بالعفاف والتقوى والتدين، وقد شهد لهن الرحالة الذين زاروا مكة وكتبوا عنها في كتبهم[٧٦].

ويبدو أن هذه المدة الطويلة التي مكثها ابن جبير في مكة المكرمة ساعدته للوقوف على الكثير من صور الحياة فيها، وعلى عادات أهلها ومعتقداتهم[٧٧]، كما كان للنساء النصيب الوفير من وصفة، فنجد ذلك يتجلى في وصفه البديع للطقوس المتعلقة بما يعرف يومئذ "بالعمرة الرجبية"[٧٨]، وهي التي تكون ليلة الأول من شهر رجب، حيث اعتبرها من الأيام المهمة التي يحتفل فيها أهل مكة ونواحيها بمن فيهم الأمير ونساؤه، ومن شدة إعجاب ابن جبير بهذا الاحتفال اعتبره من أعظم الاحتفالات وأجلها، وأن من لم يشاهدها بمكة فكأنه لم يشاهد مرأى يستحق ذكره غرابة وعجباً[٧٩]، ففيها يقول: «والعمرة الرّجبية عندهم أخت العرفية؛ لأنهم

(٧٥) الشريف، فريال عبدالحميد، مكة المكرمة كما جاءت في كتب الرحالة المسلمين منذ القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٠- ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠- ١٩٨٤م، ص١١٦.

(٧٦) ابن بطوطة، الرحلة، ١٤٩/٢.

(٧٧) ابن جبير، الرحلة، ص٩٥-١٣٩.

(٧٨) ابن جبير، الرحلة، ص١٠٦.

(٧٩) لشهر رجب مكانة خاصة عند المكيين، حيث يقيمون له الاحتفالات فهو موسم من المواسم الكبيرة التي توارثها، وشهر رجب هو أحد الأشهر الحرم، ويعتبر هذا الشهر عند أهل مكة المكرمة عيد من الأعياد يلبسون له أحسن الثياب، والعمرة في هذا الشهر ضرورية جداً عند المكين، وقد أشار ابن جبير إلى أن أهالي مكة يقيمون له الاحتفالات العظيمة التي لا مثل لها ويشترك فيها كل من في مكة المكرمة رجالاً ونساءاً وصبياناً، حيث أنهم يقيمون العمرة في هذا الشهر بوقفه عرفات، كما أن العمرة في هذا الشهر متصلة. ابن جبير، الرحلة، ص١٠٦-١٠٧؛ انظر:

يحتلفون لها الاحتفال الذي لم يسمع بمثله، ويبادر إليها أهل الجهات المتصلة بها، فيجتمع لها خلق عظيم لا يحصيهم إلا الله عز وجل. فمن لم يشاهدها بمكة لم يشاهد مرأى يستهدى ذكره غرابة وعجباً، شاهدنا من ذلك أمراً يعجز الوصف عنه، والمقصود منه الليلة التي يستهل فيها الهلال مع صبيحتها، ويقع الاستعداد لها من قبل ذلك بأيام، فأبصرنا من ذلك ما نصف بعضه على جهة الاختصار»(٨٠).

وقد وصف ابن جبير الأجواء الاحتفالية لخروج الناس لأداء مناسك العمرة، ورصدها بكل دقة مبهوراً بالزحام، وكثرة الخلق، والتدافع، والألوان، وروح الفرحة السائدة في كل تفاصيل الاحتفال بهذه الليلة المباركة، كما أدهشه مناظر الهودج المشدود على الإبل، والمكسوة بأنواع كُسا الحرير، وغيرها من ثياب الكتان الرفيعة وذلك حسب سعة أموال أصحابها، وذكر وصف أناقة وهندام المسلمين المحتفلين بالعمرة الرجبية رجالاً ونساءً(٨١).

الشريف، فريال عبدالحميد، مكة المكرمة كما جاءت في كتب الرحالة المسلمين منذ القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص١٣٠.

(٨٠) ابن جبير، الرحلة، ص١٠٦-١٠٧.

(٨١) انظر: ابن جبير، الرحلة، ص ١٠٧.

كما وصف النساء اللواتي يركبن الهوادج المزينة، وكان مما لفت استغرابه هو هودج الشريفة جُمانة بنت فليته[٨٢] عمة الأمير مكثر (أمير مكة)[٨٣]، وكان هودجها في غاية الجمال والإبداع مما أدهش ناظريه، حيث أشار ابن جبير إلى ذلك المنظر بقوله: «ومن أغرب ما شاهدنا من ذلك هودج الشريفة جُمانة بنت فليتة عمة الأمير مُكثر، فإن أذيال سترة كانت تنسحب على الأرض انسحاباً، وغيره من هوادج حرم الأمير وحرم قواده، إلى غير ذلك من هوادج لم نستطع تقييد عدتها عجزاً عن الإحصاء. فكانت تلوح على ظهور الإبل كالقباب المضروبة، فيخيل للناظر إليها أنها محلَّة قد خرجت أبنيتها من كل لون رائق»[٨٤].

---

(٨٢) هي جمانة بنت فليته بن قاسم بن محمد الحسني، وهي إحدى بنات أسر الأشراف الذين استقلوا بالحكم عن الدولة العباسية (٣٥٨/٩٥٨م)، وعند دخول الأيوبيين لبلاد الحجاز (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، كانت الأسرة التي تحكم مكة هي أسرة الأشراف الهواشم والتي حكمت (٤٥٥هـ/ ١٠٤٩م- ٥٩٧/١١٩١م).

- للمزيد من المعلومات عن نساء الأشراف الهواشم خلال العصر الأيوبي، انظر: العبدلي، عائشة مانع بن عبيد، المرأة في مكة ودورها الحضاري خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٩٩٢٣هـ/ ١١٦٤-١٥١٧م)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٢٦-٢٧.

(٨٣) هو الأمير مكثر بن عيسى بن فليته بن قاسم بن محمد بن جعفر بن هاشم الحسني، اشترك في حكم مكة المكرمة مع أخيه داود، ثم انفرد بحكمها وبلغت مدة حكمه سبعة وعشرين سنة (٥٧١-٥٩٧هـ).

- انظر: الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (: ٨٣٢هـ)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، (تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ٤٦٣/٥؛ السباعي، أحمد، تاريخ مكة، طبعة مكة المكرمة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٧٩م، ٢٢٢/١؛ الشريف، مكة كما جاءت ففي كتب الرحالة المسيحين منذ القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص٧٦ وما بعدها.

(٨٤) الرحلة، ص١٠٧.

وكان من أكثر المشاهد غرابة عند ابن جبير، وسجلها في كتابه هي عمرة النساء بهوادجهن، وسعيهن بين الصفا والمروة على ظهور الإبل، لاسيما أنه كان حاضراً ذلك المشهد، حيث قال: «فلما قضينا العُمرة وطفنا وجئنا للسعي بين الصفا والمروة، وقد مضى هدء من الليل، أبصرناه كله سرجاً ونيراناً وقد غص بالساعين والساعيات، على هوادجهن، فكنا لا نتخلص إلا بين هوادجهن، وبين قوائم الإبل؛ لكثرة الزحام، واصطكاك الهوادج بعضها على بعض. فعاينا ليلة هي أغرب ليالي الدنيا»[٨٥]، ويبدو أن ابن جبير من شدة اندهاشه وانبهاره بما رآه أثناء السعي من تزاحم الناس رجالاً ونساءً مرتدين كامل زينتهن بأشكال وألوان مختلفة، وارتفاع الأصوات، وامتلاء المسجد الحرام بأنوار السرج ليلاً، والإبل بهوادجها ملأت المكان، أن شبّه هذا الموقف بيوم الحشر يوم القيامة؛ وذلك لكثرة الخلائق فيه، محرمين، ملبين، داعين إلى الله عز وجل، وأن من لم يشاهد ذلك فكأنه لم يعاين عجباً يحدث به أي يتكلم عنه[٨٦].

ويعود ابن جبير مرة أخرى لرصد مشاهداته عن النساء في مكة أثناء تأديتهن مناسك العمرة بكل روحانية وخشوع، فتتضح صورة المرأة المتدينة الحريصة على إتمام مناسك عمرتها وفروضها الدينية، وتنافس الرجال في ذلك، حيث قال: «والنساء الماشيات المتأجرات كثير يسابقن الرجال في تلك السبيل المباركة، تقبل الله من جميعهم بمنّه»[٨٧].

وفي موضع آخر من رحلته يشير ابن جبير إلى آلية التنظيم للعمرة في شهر رجب حيث يذكر أنها متصلة ليلاً ونهاراً للجميع رجالاً ونساءً، ولكن الليلة

(٨٥) الرحلة، ص١٠٨.

(٨٦) ابن جبير، الرحلة، ص١٠٨.

(٨٧) ابن جبير، الرحلة، ص١١٠.

الأولى هي التي يكون فيها الاجتماع الأكبر من الجميع، وقد شبهها بليلة الموسم، كما ذكر مواعيد فتح أبواب البيت الكريم، حيث إنه يفتح كل يوم من هذا الشهر، وقد تم تخصص يوم التاسع والعشرين للنساء فقط، وفيه تظهر النساء بكامل زينتهن، واستعدادهن للاحتفال بذلك اليوم العظيم، «فهو عندهم يوم زينتهم المشهور المستعد له»[٨٨]، ويتضح لنا من عبارة ابن جبير أن النساء في مكة يقمن بالتحضير والتجهيز طيلة أشهر السنة استعداداً لمثل هذا اليوم والاحتفال العظيم، حيث تخرج كل سيدة زينتها التي استعدت بها.

ويأخذنا ابن جبير بوصفه يوم التاسع والعشرين من رجب، حيث يذكر أن هذا اليوم مخصص للنساء للطواف، حيث يجتمعن من كل مكان، فلم تبق امرأة بمكة إلا حضرت المسجد الحرام في ذلك اليوم، فيفتح البيت الكريم من قبل الشيبين[٨٩]، يسارعون في الخروج لإفساح الطريق للنساء بالدخول، ولم يبق أحد من الرجال حول البيت المبارك، ثم يرصد ابن جبير استعداد النساء لهذا اليوم المشهود الذي هو عندهم بمثابة يوم عيد، وكيف يتزاحمن على دخول الكعبة، ويضعن من بعضهن سلاسل ويتشابكن، فيصدر عنهن العويل والتكبير والتهليل، ويبقين على ذلك طيلة النهار، ثم يبدأن في الطواف حول

(٨٨) ابن جبير، الرحلة، ص١١٣.

(٨٩) الشيبون: أو الشيبين وهم من ذرية عثمان بن طلحة، حيث سمله الرسول صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة يوم فتح مكة، وقال له اليوم يوم بر ووفاء؛ والشيبون هم أول من يتوجه إلى المسجد الحرام يوم العيد، فيفتحون باب الكعبة ويجلس كبيرهم على عتبتها وحوله بقية أفراد أسرته، ثم يأتي بعد ذلك أمير مكة وشريفها ويكون الجميع في استقباله ليطوف بالكعبة المشرفة. انظر: ابن هشام، الإمام أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري، (ت:٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، (حققها وشرحها، مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري)، دار الكنوز الأدبية، د. ط، ج٤، ص٤١٢؛العبدلي، المرأة في مكة خلال العصرين الأيوبي والملوكي، ص١١٠.

الكعبة، ويتشفين من تقبيل الحجر، واستلام الأركان، وكان ذلك اليوم عندهن الأكبر، نفعهن الله به، وجعله خالصاً لوجهه الكريم[٩٠].

كما نجد أن ابن جبير يظهر تعاطفه مع النساء - على حد قوله - بسبب ما ينالهن من غبن في سائر الأيام، حيثأنهن طوال العام يطفن من بعيد ولا يستطعن تقبيل الحجر الأسود، ولا الدخول للكعبة المشرفة فيرق لهن قلب ابن جبير ويقول: «يرين البيت الكريم، ولا يلجنه ويلحظن الحجر المبارك ولا يستلمنه، فحظهن من ذلك كله النظر والأسف المستطير المستشعر، فليس لهن سوى الطواف على البُعد»[٩١]، ويشيد بهذا التنظيم في تخصيص يوم للنساء للطواف حول الكعبة ويبارك ذلك، وحيث إن النساء في هذا اليوم الذي ينتظرنه بكل شوق من عام إلى عام، ويقمن بالاستعداد والتأهب له نفعهن الله بذلك بحسن النية والاعتقاد[٩٢].

وأضاف ابن جبير أن من عادة سدنة البيت الشريف من بني شيبة التوجه في اليوم الثاني من طواف النساء لغسل الكعبة المشرفة بماء زمزم المبارك، ويعود السبب في ذلك أن الكثير من النساء يصحبن معهن أولادهن لصحن الكعبة، لذلك يدخل الشك في نفوسهم من طهارة البيت العتيق، فيقومون بغسله لإزالة هذا الشك[٩٣].

---

(٩٠) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٦.

(٩١) الرحلة، ص ١١٦.

(٩٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٦.

(٩٣) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٦.

ويصف ابن جبير زيارة الناس قبة بئر زمزم، وكان ذلك يوم الجمعة وهو أمر عجيب، يجتمع فيه الناس، وينادون بلسان واحد مهللين مكبرين، ثم ذكر كيف أن الناس يتبركون بماء زمزم، ويتزاحمون عليه، «والنساء من جهة أخرى يساجلنهم بالبكاء، ويطارحنهم بالدعاء»(٩٤).

ومع قرب موسم الحج يبدأ ابن جبير في الحديث عن مواكب الحجاج القادمين لمكة لأداء فريضة الحج، فنجده يصف وفد العراق، وكان من بينهم جمع كبير من النساء، وهن العقائل المعروفات بالخواتين(٩٥)، وأشار ابن جبير إلى أن البيت الكريم (الكعبة) بفتح كل يوم للأعجام العراقيين، والخراسانيين وغيرهم من الواصلين مع الوفد العراقي(٩٦)، فيسجل لنا كيفية الدخول لباب الحرم المكي بكل لهفة وشوق، وفرح لرؤية بيته الكريم بالرغم مما يصيب النساء من تزاحم وتطارح على أبوب الحرم(٩٧)، أما حالة النساء في هذا الخضم فيصفها ابن جبير بكل بلاغة ودقة متناهية، حيث إن أجساد النساء - كما وصفها - قد نضجت جلودهن طبخاً في هذا التزاحم مع أجساد الرجال، ولم يشر ابن جبير لذلك نقداً، بل إن هذا من أسباب التعطش واللهفة للاقتراب من بيت الله الحرام، وتقبيل الحجر الأسود، وكل القلوب والمشاعر خاشعة ووجلة لربها جل جلاله،

---

(٩٤) ابن جبير، الرحلة، ص ١١٧.

(٩٥) الخواتين: هو لقب اتخذته الأميرات السلجوقيات اللاتي ينتمين إلى سلاطين سلاجقة الروم، الذين أسسوا ملكهم في آسيا الصغرى وعاصمتهم قونية. – انظر: طقوش، محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، دار النفائس، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٥-٢١.

(٩٦) ابن جبير، الرحلة، ص ١٥٨.

(٩٧) ابن جبير، الرحلة، ص١٥٨.

«وربما زاحمهم في تلك الحال بعض نسائهم فيخرجن، وقد نضجت جلودهن طبخاً في مضيق ذلك المعترك الذي حمي بأنفاس الشوق وطيشه، والله ينفع الجميع بمعتقده وحسن مقصده بعزته»[٩٨].

بعد أن أداء ابن جبير مناسك الحج ينضم للحملة العراقية التي قدمت للحج، ولقربه من الوفد تمكن ابن جبير من رصد حالة المعسكر العراقي، وتسجيل مشاهداته عليه بكل دقة، كذلك سرد لنا مشاهداته لعدد من الخواتين بنات الملوك والأمراء، فأشار إلى موكبهن، وأعمالهن في وجوه البر والخير، وكانت إقامة هذا المعسكر في "بطن مر"[٩٩] القريب من مكة لمدة يوم كامل وهو يوم الجمعة، وحيث إنه كان من المقرر رحيل هذا الوفد صباح يوم الجمعة، ولكن بسبب اختفاء موكب الملكة خاتون

(٩٨) الرحلة، ص ١٥٩.

(٩٩) بطن مَرّ: هو واد خصيب كثير النخيل ذو عين فوارة سيالة الماء تُسقى منها أرض تلك الناحية، وعلى هذا الوادي قطرٌ متسع وقرى كثيرة وعيون، ومنه تجلب الفواكه إلى مكة، وقد سمي مر لمرارتها أو لأن في بطن الوادي بين مر ونخلة عرق من الأرض أبيض، وعند مر الظهران يجتمع وادي النخلتين فيصيران وادياً واحداً، ومر هي القرية، والظهران الوادي وفيه عيون ونخيل وجميز.

- انظر: ابن جبير، الرحلة، ص ١٦١؛ ابن الأصبغ، كرام الأصبغ السلمي (ت: ٢٧٥هـ)، أسماء جبال تهامة ومكانها وما فيها من القوى وما ينبت عليه من الأشجار وما فيها من المياه، (تحقيق: عبدالسلام هارون)، ط٤، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، ص ٤١٥؛ البكري، عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (تحقيق: مصطفى السقا)، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٤، ص١٢١٢؛ البلادي، عاتق غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢٨٨.

بنت الأمير مسعود[١٠٠]، اضطر أمير الحج أبو المكارم طاشتكين مولى الخليفة العباسي إلى التأخير لتفقدها، وقد أثار اختفاء موكب الملكة تعجب ابن جبير، حيث قال: «فأقمنا به يوم الجمعة لسبب عجيب»[١٠١]. ثم أرسل أمير الحج الثقات من رجاله، ومن خاصة أصحابه للبحث عنها، واستطلاع أمرها، وأقام بالناس منتظراً لها، وقد وصف ابن جبير حال الموكب وما سرت فيه من ظنون بسبب اختفاء الملكة[١٠٢].

وقد تعددت الأقاويل عن سبب اختفاء الملكة، فهناك من يقول إن غيابها كان أنفة وغضباً بسبب بعض ما انتقدته على الأمير أبي المكارم طاشتكين، وفريق آخر يقول إن نوازع الشوق للمجاورة بمكة والبقاء بها هي التي عطفت بها إلى الغياب عن المعسكر، ولا يعلم الغيب إلا الله[١٠٣]، بعد ذلك يقف ابن جبير عن سرد المزيد من الأقاويل عن اختفاء الملكة، ثم يعود

---

(١٠٠) الملكة خاتون: هي ابنة الأمير قلج أرسلان ابن السلطان مسعود، ولكن ابن جبير عرفها على أنها بنت الأمير مسعود، وهم من سلاطين سلاجقة الروم الذين أسسوا لهم ملكاً عظيماً في آسيا الصغرى، امتد حكم أبيها قلج أرسلان إلى أطراف بلاد الشام والجزيرة والموصل، وقد تزوجت من الأمير الأرتقي نور الدين حاكم حصن كيفا والجهات المجاورة في جهات ديار بكر وشرق الأناضول، ثم تزوجها الخليفة العباسي الناصر لدين الله بعد وفاة زوجها، وبعد أن سمع عن فخامة موكبها المار ببغداد منذ فترة، وقد تعلق بها وبني لها قصراً فخماً، ثم توفيت الخاتون سنة ٥٨٤هـ فحزن عليها الخليفة حزناً كثيراً.

- انظر: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت: ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص١٠١-١٠٢؛ ابن جبير، الرحلة، ص١٦١، طقوش، تاريخ سلاجقة الروم، ص٢٠٠-٢٠١م.

(١٠١) الرحلة، ص١٦٢.

(١٠٢) الرحلة، ص١٦٢.

(١٠٣) ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٢.

ويذكر إعجابه بأعمال البر والخير التي قامت بها هذه الخاتون، وهي كثيرة في طريق الحاج، ومنها سقي الماء للسبيل، وقد عينت لذلك قرابة ثلاثين ناضحة، ومثلها للزاد، كما أمرت باستجلاب وإحضار ما تختص به من الكسوة والأزودة وغير ذلك نحو المئة بعير، وغيرها من الأعمال الخيرية التي اختصرها ابن جبير بعبارة –وأمورها يطول وصفها - ثم ختم حديثه عن هذه الملكة بأن عمرها قرابة خمسة وعشرين عاماً[١٠٤]، فكأنه يقارن عظيم أعمالها وأوقافها في البر بصغر سنها.

ثم أشار ابن جبير بالخاتون الثانية فذكر أنها أم عز الدين صاحب الموصل[١٠٥]، وذكر لهما أفعالاً كثيرة في البر دون ذكر تفاصيل عنها[١٠٦].

ثم انتقل ابن جبير في حديثه عن الخاتون الثالثة، وهي ابنة الدقوس صاحب أصبهان من بلاد خراسان، فأشاد بها وبمكانتها، ورفعة قدرها، «وهي أيضاً كبيرة القدر، عظيمة الشأن، منافسة في أفعال البر»[١٠٧]، وقد أثار أمر هؤلاء الخواتين تعجب ابن جبير لما شاهده من الأبهة الملوكية لمواكبهن، وأيضاً جهودهن في أعمال البر والخير طلباً للأجر والمثوبة من الله، حيث إنهن كل سنة ومع وقت الحج يرسلن مع من يثقن به نواضح مسبّلة لسقاية أبناء السبيل في

---

(١٠٤) ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٢.

(١٠٥) الموصل: هي باب العراق ومفتاح خراسان، ومنها يقصد إلى أذربيجان، وسميت بالموصل؛ لأنها وصلت الجزيرة والعراق أو أنها وصلت بين دجلة والفرات، وقيل لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة، والموصل مدينة قديمة على طرف دجلة تقابلها نينوي في الجانب الشرقي. – الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٢٣.

(١٠٦) ابن جبير، الرحلة، ص١٦٢.

(١٠٧) ابن جبير، الرحلة، ١٦٢.

مكة، والطرق المؤدية إليها، قال: «ولهؤلاء النسوة الخواتين في كل عام، إذا لم يحججن بأنفسهن، نواضحُ مُسبّلة مع الحاج مع ثقات يسقون أبناء السبيل في المواضع المعروف فيها الماء، وفي الطريق كله، وبعرفات، وبالمسجد الحرام، في كل يوم وليلة، فلهن في ذلك أجر عظيم، وما التوفيق إلا بالله جل جلاله»[١٠٨].

كما شرح ابن جبير كيفية تصريف مياه السبيل، وما يقوله المنادي عند توزيعه للماء على المحتاجين في الطريق، حيث يشيد بالخاتون، ويذكر اسمها بأعلى صوته إظهاراً لفعلها؛ واستجلاباً للدعاء لها من الناس[١٠٩].

ونجد أن الخاتون بنت الأمير مسعود نالت النصيب الأكبر من مشاهدات ابن جبير؛ ربما يعود ذلك لإعجابه وانبهاره بأعمالها الخيرية، وبالإبداع والأبهة الملوكية المصاحبة لموكبها، وخدمها، وحاشيتها، فذكر أنه يدعى لها باسمها في مواسم الحج حين تفيض بأعمال البر على الحجاج، لذلك يتكرر ذكره لها في مواضع مختلفة منها وصف أحوالها ، حيث خصها ابن جبير بالذكر والرياسة على الرغم من أن باقي الخواتين الأميرات كن حاضرات معها؛ ويبدو أن ذلك يعود بكثرة أعمالها الخيرية، وكذلك مكانة والدها وسلطانه[١١٠].

وتتجلى قمة الوصف لمكانة هذه الأميرة عند زيارتها للمسجد النبوي في المدينة المنورة، وما رافق ذلك من أبهة ملوكية، ومجلس وعظ مؤثر ابتهلت فيه بالدعاء، وقد أشار ابن جبير إلى أن الخاتون زارت المسجد في اليوم الرابع لوصول الوفد العراقي إلى المدينة المنورة، فأعطانا وصفاً بديعاً دقيقاً لدخولها الحرم النبوي حيث قال: «راكبة في قبتها، وحولها قباب كرائمها، وخدمها،

(١٠٨) ابن جبير، الرحلة، ١٦٤.

(١٠٩) الرحلة، ص ١٦٤.

(١١٠) الرحلة، ص ١٧٧.

والقراء أمامها، إلى أن وصلت إلى باب المسجد المكرم، فنزلت تحت ملحفة مبسوطة عليها، ومشت إلى أن سلّمت على النبي صلى الله عليه وسلم، والخول أمامها، والخُدام يرفعون أصواتهم بالدعاء لها، إشارة بذكرها، ثم وصلت إلى الروضة الصغيرة، التي بين القبر الكريم والمنبر، فصلّت فيها تحت الملحفة، والناس يتزاحمون عليها، والمقامع تدفعهم عنها، ثم صلّت في الحوض بإزاء المنبر، ثم مشت إلى الصفحة الغربية من الروضة المكرمة فقعدت في الموضع الذي يقال: إنه كان مهبط جبريل عليه السلام، وأرخي الستر عليها، وأقام فتيانها وصقالبها وحُجابها على رأسها خلف الستر تأمرهم بأمرها، واستجلبت معها إلى المسجد حِمْلَين من المتاع للصدقة، فمازالت في موضعها إلى الليل»[١١١].

كما يطلعنا ابن جبير إلى مجلس الوعظ الديني الذي حضرته الخاتون بنت الأمير مسعود، والذي تحدث فيه صدر الدين الأصبهاني رئيس الشافعية، ولقبه ابن جبير برئيس العلماء، وقد أعد مكاناً مخصصاً لتشريف الخاتون، كما أشار إلى أن الحاجز (الستار) قد أزيل عن الخاتون عند وصول الواعظ رئيس الشافعية، وبقيت بين خدمها وكرائمها متلفعة في ردائها[١١٢].

وقد رصد ابن جبير بعض البدع المنكرة، وهي أن الخطيب بعد انتهائه من الخطبة الأولى في يوم الجمعة جلس جلسة طويلة وهو مخالف لجلسة الخطباء المتمثلة في السرعة بين الخطبتين، ثم قام خلالها عدد من أتباعه باختراق صفوف المصلين للشحت منهم، فالكل يخرج ما يقدر عليه حسب سعته وقدرته، أما

(١١١) الرحلة، ص ١٧٧.

(١١٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧٩.

النساء فمنهن «من تطرح خلخالها وتخرج خاتمها فتلقيه، إلى ما يطول الوصف له في ذلك»[١١٣]، فاجتمع له من هذه الشحاتة كوم عظيم أمامه.

– أوضاع المرأة في بلاد العراق:

وبعد انتهاء موسم الحج ينضم ابن جبير إلى الوفد العراقي ليرحل معهم صوب العراق وذلك: «في ضحوة يوم السبت الثامن لمحرم المذكور، والحادي والعشرين من شهر إبريل، كان رحيلنا من المدينة المكرمة إلى العراق»[١١٤] سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، فدخل بغداد، والتي اسمها المدينة العتيقة حاضرة الخلافة العباسية[١١٥].

وصف ابن جبير سكان بغداد وأخلاقهم، وأشار إلى انتشار النفاق بينهم، كما ذكر المدارس، وحلقات الوعظ، ويبدو أن ما وجده ابن جبير في بغداد جاء مخالفاً لما رسمه في مخيلته عنها، حيث أشار أن لا حسن فيها يستوقف النظر باستثناء نهر دجلة، وجمال النساء فيها، فكان مبهوراً بجمالهن وحسنهن، فقال: «والحسن الحريمي بين هوائها ومائها ينشأ، وهو من ذلك على شهرة في البلاد معروفة موصوفة، ففتن الهوى، إلا أن يعصم الله منها، مخوفة»[١١٦]، كما أشار إلى اختلاط النساء بالرجال عند عبورهم بالزوارق في نهر دجلة ليلاً ونهاراً[١١٧]، وهذه أيضاً من العادات السيئة المنتشرة في مجتمع

(١١٣) الرحلة، ص ١٨٠.

(١١٤) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨١.

(١١٥) ابن جبير، الرحلة، ص ١٦٦.

(١١٦) ابن جبير، الرحلة، ص١٩٤.

(١١٧) الرحلة، ص ٢٠١.

بغداد المسلم والتي يكون فيها اختلاط كبير بين الرجال والنساء، وهذا مدعاة لانتشار الفساد.

يعود ابن جبير ويستأنف حديثه ووصفه لمواكب الخواتين السلجوقيات، فذكر أن الحجاج الذين أراحوا في بغداد استأنفوا سيرهم باتجاه خراسان بصحبة إحدى الخواتين، وهي ابنة الملك الدقوس، ومنهم من واصل الرحيل باتجاه الموصل والشام، ومنهم ابن جبير بصحبة اثنتين من الخواتين، وهما: الخاتون بنت مسعود، والخاتون أم عز الدين حاكم الموصل. ولم يوضح ابن جبير سبب انضمامه لهذا الموكب، كما ذكر أن هاتين الأميرتين هما أميرتان وقائدتان لهذا العسكر، ويبدو أن لهما تنظيماً خاصاً بذلك وقيادة قوية، حيث إن لهذا أجناد برسمها، وهذا إشارة إلى تولي الأميرة السلجوقية في تلك الفترة قيادة المواكب والزعامة على الأجناد، وأن لها من السلطة والقوة ما يجعلها قائدة قوية تدير المواكب في السفر والترحال[١١٨]، ولكن نجد أن ابن جبير لا يخفي تشاؤمه من ذلك؛ فاستعاذ بالله أن لا يكون تحت قول القائل: «ضاع الرعيل ومن يقوده»[١١٩].

كما يمكننا الوقوف على دهشة ابن جبير، وشدة انبهاره من موكب وسلطة الخاتونتين، وذلك من خلال أوصافه لهما، وبلاغته في دقة الوصف، حيث وصف هودج الخاتون المسعودية التي قال عنها إنها" «المترفة شباباً وملكاً"، فذكر أن هودجها وضع على خشبتين معترضتين بين مطيتين الواحدة أمام الأخرى وعليها الجلال المذهّبة، وفُتِح بابان من أمام الهودج ومن خلفه،

(١١٨) ابن جبير، الرحلة، ص٢٠٦.

(١١٩) الرحلة، ص٢٠٦.

وهي ظاهرة في وسطه، كما وصف ابن جبير لباسها فذكر أنها متنقبة، وتلبس عصابة على الرأس من الذهب، أما موكبها فكان يسير سير النسيم ما بين السرعة واللين، وأمامها رعيل من جنودها وفتيانها، وخلفها ركب من جواريها، وقد ركبن المطايا والهماليج على السروج المنهبة أيضاً، كما أن لباسهن مشابه للباس سيدتهن الخاتون، فوضعن عصابة الرأس الذهبية، وهن يسرن خلف موكب سيدتهن سير السحاب، وكانت الرايات والطبول والبوقات تضرب وترتفع أصواتها عند ركوب الخاتون وعند نزولها[١٢٠].

وكان ابن جبير معجب أشد الإعجاب بهذا الموكب، وأثنى عليه بعبارات جميلة عذبة سهلة، كقوله: «ويحق أن يخدمها العز، ويكون لها هذا الهز، فإن مسافة مملكة أبيها نحو الأربعة أشهر، وصاحب القسطنطينية يؤدي إليه الجزية، وهو عن العدل في رعيته على سيرة عجيبة، ومن موالاة الجهاد على سنة مرضية»[١٢١].

وعند وصول الموكب إلى الموصل كان هناك حفل لاستقبالهن أشاد به ابن جبير وقال بأنه: «من أحفل المشاهد الدنيوية»[١٢٢]، ولكنه يلحق ذلك بصفة "المريبة"[١٢٣]؛ وقد خرج أمير الموصل لاستقبال أمه والخاتونة بنت الأمير مسعود السابق ذكرها، فذكر خروج الناس عن بكرة أبيهم ركباناً ومشاةً، كذلك خروج النساء، وكان أكثرهن راكبات، ويبدو أن النساء تفوقن على

(١٢٠) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(١٢١) الرحلة، ص ٢٠٧.

(١٢٢) الرحلة، ص ٢٠٧.

(١٢٣) ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٢

الرجال بكثرة العدد، حتى وصفهن ابن جبير بالعسكر الجرار[١٢٤]، وقد أسهب ابن جبير في وصف موكب الاستقبال، وموكب دخول الخاتون المسعودية مما نكتفي به هنا[١٢٥]، كما أنه عاد مرة أخرى في موضع آخر من كتابه بالثناء على هذه الخاتون، وذكر أنها موصوفة بالعبادة والخير[١٢٦].

– أوضاع المرأة في بلاد الشام:

وفي دمشق، التي وصلها ابن جبير يوم الخميس الرابع والعشرين من ربيع الأول، والخامس من يوليه عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م، تتكرر مشاهداته عن المرأة، فذكر كثرة أوقاف المرأة في دمشق، حيث لم تكن هذه الأوقاف حكراً على الرجال، بل كان للنساء أثرهن الواضح في نشأة الأوقاف، وهي متنوعة ما بين بساتين، وأراضٍ بيضاء، وزروع، إضافة إلى المساجد، والمدارس، وكان أغلب من ينفق في وجوه البر هن النساء الميسورات والخواتين، حيث قال: «ومن النساء الخواتين ذوات الأقدار من تأمر ببناء مسجد، أو رباط، أو مدرسة، وتنفق فيها الأموال الواسعة، وتعين لها من مالها الأوقاف، ومن الأمراء من يفعل مثل ذلك لهم في هذه الطريقة المباركة مسارعة مشكورة عند الله عز وجل»[١٢٧]، ونجد أن اهتمام المرأة بالوقف يدل على قوة الدافع الديني لدى نساء بلاد الشام خلال عصر المماليك وحبهن للعمل الخيري وتنافسهن في ذلك، وذلك ابتغاء رضاء الله سبحانه وتعالى ولم يقتصر التنافس على نساء العامة، بل شمل الأميرات ونساء الطبقة العليا والمقتدرات، وتنوعت هذه

(١٢٤) ابن جبير، الرحلة، ص ٢١٢.

(١٢٥) انظر: الرحلة، ص ٢١٢-٢١٣.

(١٢٦) انظر: الرحلة، ص ٢١٣.

(١٢٧) الرحلة، ص ٢٤٨.

الأوقاف ما بين الاربطة وبناء المدارس والمساجد وخدمة الحجاج، كما كان السلاطين يعينون أوقافاً للمساجد تقوم به وبساكنيه والملتزمين له[١٢٨].

كما للمرأة مساهمات بارزة في الوقف على المدارس والعلماء وطلبة العلم وذلك نابع من حبهن للعلم والتشجيع عليه والنهوض بالحركة العلمية وتحفيز العلماء لبذل المزيد من الجهود في سبيل الارتقاء بالمستوى التعليمي ودافع لطلاب العلم للإقبال على العلم والدراسة وتذليل كافة الصعوبات التي تواجههم.

كما زار ابن جبير عدداً من قبور النساء الصالحات من آل البيت، فذكر مشهد أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وذكر أنه يقال لها زينت الصغري، وأم كلثوم هي كنية أسماها بها النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم؛ وذلك لشبهها بابنته أم كلثوم ﷺجميعاً، فوصف مشهدها بأنه يقع في قرية قبلي البلد تعرف براوية، وعليه مسجد كبير، وخارجه مساكن، وأن له أوقافاً، وذكر أن سكان هذه الجهات يعرفون المكان بقبر الست أم كلثوم، ويتبركون عنده، وقد بات ابن جبير فيه ليلة تبركاً برؤيته[١٢٩]، كما أشار لوجود عدد آخر من قبور النساء الصالحات من آل البيت في الجانب الغربي من البلد، وقد بُني عليها مسجد، وهو قبر سكينة بنت الحسين، رضي الله عنها، وربما أنه

(١٢٨) انظر: الدوسري، شيخة محمد، أوقاف النساء في بلاد الشام وأثرها في الحياة خلال العصر المملوكي (٦٥٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٩-١٥١٧م)، دراسة تاريخية حضارية، مركز باحثات لدراسات المرأة، الرياض، ط١، ١٤٣٧÷ت/٢٠١٦م، ص١٥٥-١٥٦ وما بعدها.

(١٢٩) الرحلة، ص ٢٥٣.

غير متأكد من ذلك، حيث أردف قائلاً: «أو لعلها سكينة أخرى من أهل البيت»[١٣٠].

وقد عرف عن أهل الشام تقديرهم لفريضة الحج بصورة ظاهرة للعيان، وذلك بإظهار الاحترام والإجلال والتقدير للحجاج، وقد جاء عن ابن جبير قوله في ذلك: « ومن عجيب أمرهم تعظيمهم للحاج، على قرب مسافة الحج منهم، وتيسير ذلك لهم واستطاعتهم لسبيله، فهم يتمسحون بهم عند صدورهم ويتهافتون عليهم تبركاً لهم»[١٣١].

ومما شد انتباه ابن جبير الأحوال المتعلقة بطقوس الحجاج، والتي تشارك فيها المرأة، وقد اعتبرها من عجائب الأمور وغرائبها، حيث أن الناس رجالاً ونساء يخرجون لاستقبال الحجاج ويناولنهم الخبز، فإذا عض الحاج فيه اختطفنه من أيديهم، ويتبادرون لأكله تبركاً بأكل الحجاج له، ودفعن له عوضاً منه دراهم، وغيرها من المشاهدات التي لم يألفها ابن جبير، واعتبرها من الأمور العجيبة في بلاد الشام[١٣٢].

ومن النص السابق يمكن أن نضيف عليه أن لنساء بلاد الشام إسهامات بارزة في الاهتمام بالحجاج المغادرين أو القادمين من مكة، فكن يقدمن الصدقات والعطايا تكريماً لهم واعترافاً بعظم هذه الفريضة، وقد سجل لبعض النساء جهودهن في الاتقان لتيسير طريق الحج، كما لم تقتصر جهود النساء في بلاد الشام على ذلك وحسب، بل امتد اهتمامهن إلى تسهيل فريضة الحج

(١٣٠) الرحلة، ص٢٥٣.

(١٣١) الرحلة، ص٢٥٩.

(١٣٢) ابن جبير، الرحلة، ص٢٥٩.

للحجاج داخل الأماكن المقدسة، حيث حرصن على تهيئة أماكن الراحة لهم بوقفها على المجاورين منهم من حجاج ومعتمرين[١٣٣].

وربما أن إعراض ابن جبير عن الخوض في ذكر تفاصيل مشاهداته عن المرأة، واكتفائه بما سبق ذكره والتي دفعته لتدوينها في رحلته، ربما خوفاً من أن يخرج كتابه عن مقصده، كما قال: «لو شئنا استقصاء هذه الأمور لخرجت بنا عن مقصد التقييد، وإنما وقع الإلماح بلمحة دالة يُكتفى بها عن التطويل»[١٣٤]، وكأن التفصيل في صور المرأة هي عوارض المشاهدات في رحلته وليست أصلاً لها.

غادر ابن جبير بعد ذلك دمشق يوم الخميس الخامس من شهر جمادى الآخرة/ الثالث عشر من شهر أيلول (شتنبر)[١٣٥]، مروراً بالمدن الواقعة تحت حكم الصليبيين في (القرن السادس الهجري)، حيث تمكنوا من احتلال معظم أراضي بلاد الشام، وأقاموا لهم إمارات صليبية فيها[١٣٦]، وفي مدينة صور التي قال عنها: «مدينة يضرب بها المثل في الحصانة»[١٣٧]، وتعجب ابن جبير من مناعتها وحصانتها، وكان مقامه فيها أحد عشر يوماً شاهد خلالها عرساً إفرنجياً، وصفه من موقعه الثقافي، وقد وصف العروس ولباسها وزينتها، حيث ارتدت أفخر الحرير المذهب، وكيف أن النساء مختلطات بالرجال في هذا

(١٣٣) انظر: الدوسري، شيخة محمد، أوقاف النساء في بلاد الشام وأثرها في الحياة خلال العصر المملوكي، ص١٧٢ وما بعدها.

(١٣٤) الرحلة، ص٢٥٩.

(١٣٥) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٧١.

(١٣٦) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٧١-٢٧٥.

(١٣٧) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٧١.

العرس وهي من عادات الصليبين في الأفراح، كما وصف كيفية زفة العروس ومن يرافقها من الرجال وهم يرتدون أفخر ملابسهم، والنساء النصرانيات وهن يتهادين في أنفس الملابس، ويرفلن في أرفل الحلي، وتتقدم آلات اللهو والطرب، وكان ابن جبير خلال وصفه ذلك يستعيذ بالله من شر الفتن، كما أشار إلى أن المسلمين وسائر النصارى من النظار يتطلعون فيهم، وهم لا ينكرون عليهم ذلك، ثم ختم كلامه بالاستعاذة بالله من الفتنة فيه(١٣٨).

وينتقل ابن جبير إلى مدينة أخرى من مدن بلاد الشام، وهي عكا(١٣٩)، وخلال إقامته فيها تقع عينه على مشاهدات حزينة، ومناظر مؤسفة لحال المسلمات، حيث وقعن أسيرات بيد الأفرنج مكبلات بالحديد، واعتبرها من الفجائع التي يعانيها أسرى المسلمين، فقال: «يرسفون في القيود، ويرصفون في الخدمة الشاقة تصريف العبيد، والأسيرات المسلمات كذلك، في أسواقهن خلاخيل الحديد، فتنفطر لهم الأفئدة، ولا يُغني الإشفاق عنهم شيئاً»(١٤٠).

---

(١٣٨) انظر: الرحلة، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(١٣٩) عكا: هي مدينة تقع على ساحل بحر الشام من عمل الأردن، وهي من أحسن بلاد الساحل وأعمرها كما وصفها الحموي، بأنها مدينة حصينة كبيرة الجامع، فيها غابة الزيتون، تم تحصينها في عهد ابن طولون، كانت بيد المسلمين حتى أخذها الأفرنج سنة ٤٩٧هـ وظلت تحت سيطرتهم حتى افتتحها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ وشحنها بالرجال والعتاد وأسفرت إلى سنة ٥٨٧هـ حيث عادت مرة أخرى إلى سيطرة الأفرنج.

- انظر؛ الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٤٣-١٤٤.

(١٤٠) الرحلة، ص ٢٨٠.

بعد ذلك يقلع ابن جبير من عكا في العاشر من شهر رجب سنة ٥٨٠هـ/ الثامن من شهر أكتوبر سنة ١١٨٤م، متوجهاً إلى صقلية(١٤١).

– أوضاع المرأة في صقلية وجزرها:

وصل ابن جبير إلى صقلية بعد رحلة بحرية شاقة وطويلة استمرت قرابة ثلاثة أشهر(١٤٢)، فوصل إلى مدينة باليرمو(١٤٣).

---

(١٤١) صقلية: هي إحدى جزر البحر الأبيض المتوسط، ذات موقع متميز بين قارتي أوروبا وأفريقيا، كثيرة المدن، ذات أرض خصبة وخيراتها الزراعية متنوعة، إضافة إلى كثرة معادنها وتنوعها، كما تعتبر مراسيها صالحة لرسو السفن، تنتشر بها العديد من الآبار والعيون والأنهار، قيل عنها "ابنة الأندلس".

– ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٧٧؛ ابن جبير، الرحلة، ص٢٥٣.

Scott,Samuel,History.of the MorishEmpireinEuropein earope phildehlphia,1940,p14.

(١٤٢) خلال الرحلة تعرضت مراكب السفن التي يقلها ابن جبير ومن يرافقه إلى مخاطر البحر وتم إنقاذهم قبالة جزيرة صقلية. – انظر: ابن جبير، الرحلة، ص٢٨٤ وما بعدها،

(١٤٣) باليرمو: هي عاصمة جزيرة صقلية وأكبر مدنها، يحيط بها سور منيع من حجارة عظيمة وبها أكبر مساجد صقلية.

– ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٧١؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١٩٣.كان يحكم باليرمو عند وصول ابن جبير لها الملك غليوم الثاني الملقب بالملك الصالح، الذي حكم ما بين سنة ١١١٦-١١٨٩م، وكان أغلب من يعمل في خدمة هذا الملك هم من المسلمين نساء ورجالاً، كما أنه يستعملهم في شؤونه الخاصة، فكان الناظر في مطبخه رجل من المسلمين، وكان كثير الثقة بالمسلمين متأثراً بهم، وبطباعهم، وأزيائهم، ومن شدة إعجابه بالمسلمين أنه تعلم العربية قراءة وكتابة، كما أنه جعل علامته في مكاتباته "الحمد لله حق حمده"، وكانت علامة أبيه "الحمد لله شكراً لأنعُمه» وقد أشار أحد الباحثين إلى أن أحوال المسلمين في بلرم أثناء فترة حكم وليام الثاني التي سادها السلام والتسامح كانت مرضية، ولكنها لم تكن آمنة، فإذا ضعف الملك عن حمايتهم يتربص بهم النصارى، وهذا حالهم في الحواضر والمدن على حد تصور الباحث، أما في البوادي والأرياف فلم يكونوا إلا أرقاء في يد الملك يهدد بهم حكام المسلمين (الموحدين). ابن جبير، الرحلة، ص ٢٩٨؛ الجمحة، صورة أوضاع المسلمين تحت الإدارة الصقلية النورمانية من خلال رحلة ابن جبير، ص٤.

أما أول ذكر لأوضاع المرأة كان في مدينة مسينة[١٤٤]، حيث يشير ابن جبير إلى دور الجواري المسلمات في نشر الإسلام بين النصرانيات، حيث إن الملك استكثر من المسلمات في قصره: «وأما جواريه وحظاياه في قصره فمسلمات كلهن»[١٤٥]، وكان لهؤلاء الجواري تأثير كبير على النساء النصرانيات في القصر، حيث تدخل في الإسلام بفضلهن في تكتم لإخفاء دينهن الجديد، فيقول ابن جبير: «إن الإفرنجية من النصرانيات تقع في قصره فتعود مسلمة، تعيدها الجواري المذكورات مسلمة، وهن على تكتم من ملكهن في ذلك كله، ولهن في فعل الخير أمور عجيبة»[١٤٦].

ومن مشاهدات ابن جبير عن النساء في مدينة باليرموفيما يتعلق بأزيائهن، ومدى تأثر النساء النصرانيات بالتراث والثقافة الإسلامية في لباسهن، حيث شاهدهن في يوم عيد الميلاد وهن في زي نساء المسلمين، فصيحات الألسن، ملتحفات، منتقبات، خرجن في هذا العيد وقد لبسن ثياب الحرير المذهب، والتحفن اللّحف الرائقة، وانتقبن بالنقب الملونة، كما انتعلن

(١٤٤) مسينة: أو مسيني تقع في الزاوية الشمالية من جزيرة صقلية، وهي مشهورة بكثرة العنب والخمر، وتعد من أكبر المدن بعد العاصمة. — أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١٩٣.وهي مدينة يعيش فيها أغلب المسلمين، وهم يخفون إسلامهم، كما كان أغلب المسلمين والمسلمات الذين يعملون في القصر يخفون دينهم على الرغم من أن الملك –كما سبق أن ذكرنا – معجب بالمسلمين، وبالحضارة الإسلامية ومتأثراً بهم كثيراً، وقد ظل هذا الملك على دياناته المسيحية، كما أنه لا يسمح بالمجاهرة بالإسلام في مدينته. الرحلة، ص ٢٩٩–٣٣٠.

(١٤٥) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٩٩–٣٣٠.

(١٤٦) الرحلة، ص ٣٩٩.

الأخفاف المذهبة، وهن ذاهبات لكنائسهن وحاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلي والتخضب (وهو الحناء) والعطر[١٤٧].

وفي مدينة أخرى وهي مدينة أطرابنش[١٤٨]، والتي وصلها في شهر ذي القعدة الذي استهل هلاله ليلة الاثنين الرابع من نوفمبر، وقد طال المقام بابن جبير في أطرانبش مضطراً، وذلك لتعذر الإبحار منها بسبب الأنواء وسوء الأحوال الطقسية، وقد ساعده ذلك على الوقوف كثيراً على أحوال السكان والمسلمين فيها فقدم صوراً ومشاهدات بالغة الأهمية تشير إلى حالة الخوف من المصير القادم في جزيرة صقلية[١٤٩]، وقد شاع في هذه الجزيرة إكراه المسلمين كي يتنصروا، وقد عانوا في ذلك الذل والهوان، وبطش الملك وغلظته، مما تسبب في ترك البعض لدينه[١٥٠].

كما أشار ابن جبير إلى أن إكراه المسلمين ليست هي وحدها من مبررات التنصير إنما أحياناً سوء العلاقة بين أفراد العائلة الواحدة، والسبب في ذلك هو ما تتعرض له هذه الأسر المحافظة للانحلال والانسلاخ من دينها الإسلامي، نتيجة للضغوط والمغريات للتحول إلى دين النصرانية، حيث

---

(١٤٧) ابن جبير، الرحلة، ص٣٠٧.

(١٤٨) أطرابنش: إحدى جزر صقلية، وهي مدينة قديمة أسسها الإغريق، تقع على ساحل البحر الغربي في صقلية، تعتبر ميناءً مهماً للصيد، وتحيط بها المياه من جميع الجهات، وتبعد عنها جزيرة الراهب مسافة أميال والتي تطل على البحر المتوسط.

– الحميدي، محمد بن عبدالمنعم (ت ق ٨هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، (تحقيق: إحسان عباس)، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٧٥م، ص٢٨.

(١٤٩) ابن جبير، الرحلة، ص٣١٣؛ الجمحة، صورة أوضاع المسلمين تحت الإدارة الصقلية النورمانية من خلال رحلة ابن جبير، ص٧.

(١٥٠) الرحلة، ص٣١٣.

قال في ذلك: «ومن أعظم ما مُني به أهل هذه الجزيرة أن الرجل ربما غضب على ابنه، أو على زوجه، أو تغضب المرأة على ابنتها فتلحق المغضوب عليه أَنَفَةً تؤديه إلى التطارح في الكنيسة فيتنصر ويتعمد، فلا يجد الأب للابن سبيلاً، ولا الأم للبنت سبيلاً»[١٥١]. ومن أعجب المشاهد التي وقف عليها ابن جبير من أحوال المسلمين في هذه الجزيرة، وخاصة النساء والفتيات الصغيرات ما يقطع النفوس إشفاقاً، وتذيب القلوب رأفة وحناناً، وهو ما رصده بقوله: «إن أحد أعيان هذه البلدة وجه ابنه إلى أحد أصحابنا الحجاج راغباً في أن يقبل منه بنتاً بكراً صغيرة السن قد زاهقت الإدراك، فإن رضيها تزوجها، وإن لم يرضها زوجّها ممن رضي لها من أهل بلده، ويخرجها مع نفسه راضية بفراق أبيها وإخوتها طمعاً في التخلص من هذه الفتنة، ورغبة في الوصول إلى بلاد المسلمين»[١٥٢].

ومن هذا النص يتبين لنا أن بعض من أعيان المسلمين في صقلية وجدوا أن الخلاص الوحيد لمشاكلهم وحماية أبناءهم هو الهجرة إلى بلاد المسلمين، وذلك من أجل إنقاذ البنات تحديداً من الأذى العام، أو الشمول إلى النصرانية حيث تزوج البنت الصغيرة البكر من يرض بها من الحجاج المارين بالجزيرة، أو يزوجها الحاج من يرضى بها من أهل بلده تاركة أهلها ومدينتها.

---

(١٥١) ابن جبير، الرحلة، ٣١٥.

(١٥٢) الرحلة، ص٣١٥.

ويذكر ابن جبير أنه هو وأصحابه أعانوا الرجل الذي أرسلت له الصبية على الاقتناع بترويجها ؛ لما له في ذلك من الخير والأجر في الدنيا والآخرة ، ولكنه تعجب وظل في حيرة وتساؤل وكله أسى ، كيف لإنسان أن يودع ابنته قطعة من قلبه وتسليمها ليد غريبة؟ وكيف يحتمل الصبر عنها ويكابد الشوق إليها؟ كما تعجب أكثر من حال الصبية وقبولها بفراق أهلها ، ولا يسعه في هذا المقام إلا أن يدعو لها بالتوفيق والستر وجمع الشمل بأهلها(١٥٣).

فكان هذا حال المسلمين والمسلمات في جزر صقلية يعانون الظلم والاضطهاد ، واللوعة وفراق الأهل خوفاً على دينهم بسبب سياسة ملكهم النصراني ، والذي اعتبره ابن جبير مشركاً كافراً بالله ، عنيفاً تجاه مسلمي صقلية فيما يخص الإجبار على التحول إلى دين أو مذهب جديد ، ويدعو الله أن ينقذ المسلمين من إثمه وتجبره ، وكفى الله المسلمين عادتيه وبسطته(١٥٤).

ومما سبق نصل إلى نتيجة وهي أن هجرة المسلمين من صقلية أفراداً أو جماعات لم تكن سهلة ، وغير مقبولة عن حكومة النورمان إذا كانت ظروف الهجرة في طي الكتمان والسرية التامة ، خوفاً من افتضاح أمرهم ، وتسببت هذه الهجرات في تبدد السكان المسلمين في الجزيرة وأصبحوا بين عيشة وضحاها إما الهجرة إلى خارج صقلية ، وإما التنصير ، لذلك لا عجب أن يتطلعوا إلى طلب العون والنجدة من القوة الفتية على الجانب الآخر الموحدين.

---

(١٥٣) ابن جبير، الرحلة، ص٣١٦.

(١٥٤) ابن جبير، الرحلة، ص ٢٩٨.

الخاتمة

وبنهاية هذه الدراسة فإننا نجد أن كتب الرحلات هي بالفعل المرآة الصادقة المعبرة عن حياة الشعوب، حيث رصدت تنوع المعالم الحضارية في مختلف جوانب الحياة في جميع البلدان التي زارها الرحالة، كما أنه عكست صورة واضحة لأحوال الناس، وعاداتهم وتقاليدهم، وكشفت عن انتمائهم الديني، وطقوسهم التي يمارسونها، واحتفالاتهم، وعباداتهم وغيرها من النواحي الحضارية المعبرة عن ثقافة ذلك البلد.

وكانت المرأة إحدى الجوانب التي تطرقت لها كتب الرحلات باعتبارها صورة من صور الثقافات التي تستحق التدوين والرصد، فجاءت صور ومشاهدات المرأة عند الرحالة ابن جبير الأندلسي متنوعة في الحضارة الإسلامية ما بين المرأة في مصر، والمرأة في الحجاز، ثم اختلافها عن المرأة في بلاد الشام والعراق، وأخيراً المسلمات في صقلية، والتي قارنها ابن جبير مع المرأة الأفرنجية في جزر ومدن صقلية، وكيف كان للمرأة المسلمة التأثير العظيم على المرأة النصرانية التي قد تتخلى عن دينها وتدخل في الإسلام، كما أن منهن من يحاكي المرأة المسلمة في لباسها وزيها، وحتى حجابها ونقابها، وتطيبها وتخضبها بالحناء، كما أشار إلى ذلك ابن جبير بشكل مفصل عند حديثه عن نساء صقلية.

هناك بعض الصور التي رصدها ابن جبير عن المرأة المسلمة كشفت للقارئ عن مدى عفافهن، وإنفاق أموالهن في وجوه الخير، ومنهن من أوقفت أموالها على المدارس، ودور العلم، والمساجد، وسقيا الماء، والأراضي البيضاء، والحقول وغيرها، فكانت المرأة المسلمة باذلة للخير، محبة للمعروف.

إضافة إلى ذلك رصد ابن جبير لبعض العادات والطقوس الدينية التي شاركت بها المرأة، والتي اختفت نهائياً في الوقت الحاضر لاسيما أوصاف ابن جبير للعمرة الرجبية، وما يجري فيها وما يسبقها من استعداد النساء بأفخر الملابس والعطور لذلك العيد المبجل، كذلك ما سجله ابن جبير عن موكب الحاجّات الأميرات السلجوقيات، وما يصاحب مواكبهن من الأبهة الملوكية والفخامة.

كما كشفت هذه الرحلة ما تعانيه المرأة المسلمة، والفتيات المسلمات في صقلية من أجل إخفاء دينهن، مما اضطر بعضهن إلى الهجرة خارج بلدهن تاركين أهلهم اتقاء شر الفتنة، وخوفاً على دينهن.

وأخيراً يمكننا القول إنه من خلال تتبع رحلة ابن جبير تم الوصول إلى أن المشاهدات والصور المتعلقة بالمرأة قليلة في رحلته، وبالمقارنة مع حجم الكتاب وخط سيره جغرافياً وزمنياً، ومجال الرحلة جغرافياً وزمنياً، وكذلك نوعية المشاهدات المرصودة، وقد تطلب هذا الاستنتاج تفسيراً له، وهو أن ما تم رصده وتسجيله كان من الغريب والعجيب واللافت للنظر، وقد أشار ابن جبير إلى ذلك في أغلب مشاهداته، كما أن تلك القلة في رصد أخبار المرأة هو ترفُّع ابن جبير عن الخوض في أخبار النساء، وهو من باب الاحتشام العام والتنزه النابع من ثقافته الإسلامية وورعه وتقواه، والتي تجلت في الكثير من ألفاظه، حيث كان يستعيذ بالله عند الخوض في مشاهداته عن المرأة، ويطلب المغفرة من الله[١٥٥]، ويكتفي بعد ذلك بالصور البارزة والنادرة عن المرأة، والتي يراها غير مألوفة.

---

(١٥٥) انظر: الرحلة، ص ٢٧٩-٣٠٧-٣١٥.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر العربية

[١] ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت: ٦٣٠هـ)، *الكامل في التاريخ*، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص١٠١ -١٠٢.

[٢] الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحمودي (ت: ٥٤٨هـ)، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، مج٢.

[٣] ابن الأصبغ، كرام الأصبغ السلمي (ت: ٢٧٥هـ)، *أسماء جبال تهامة ومكانها وما فيها من القوى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه*، (تحقيق: عبدالسلام هارون)، ٤، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

[٤] ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي (ت: ٧٧٩هـ)، *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، (اعتنى به وارجعه، درويش الجويدي)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٤م.

[٥] البكري، عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ)، *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*، (تحقيق: مصطفى السقا)، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

[٦] التجيبي، القاسم بن يوسف السبتي (ت: ٧٣٠هـ)، *مستفاد الرحلة والاغتراب*، (تحقيق: عبدالحفيظ منصور)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٧٥م.

[٧] ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني البلنسي (ت: ٦١٤هـ)، *تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار (رحلة ابن جبير)*، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

[٨] ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، دار الجيل، بيروت، د.ط.

[٩] الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ)، *معجم البلدان*، دار صادر، ج٣.

[١٠] الحميدي، محمد بن عبدالمنعم (ت ق ٨هـ)، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، (تحقيق: إحسان عباس)، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.

[١١] ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت: ٣٦٧هـ)، *صورة الأرض*، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

[١٢] ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله (ت: ٧٧٦هـ)، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، (تحقيق: محمد عبدالله عنان)، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ط١٣٩٤، ١هـ/١٩٧٤م.

[١٣] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، *العبر في خبر من عبر*، (تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.

[١٤] الرعيني، علي بن محمد الأشبيلي (ت٦٦٦هـ)، *برنامج شيوخ ابن الفخار الرعيني*، (تحقيق: إبراهيم شيوخ)، (مجلة معهد المخطوطات العربية)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٢م، مج٥، ج١.

[١٥] الزركشي، أبوعبدالله محمد بن إبراهيم، *تاريخ الدولتين الموحدي والحفصية*، (تحقيق: محمد ماحنور)، المكتبة العتيقة، تونس، ص٢، ١٩٦٦م.

[١٦] السلاوي، شهاب الدين أحمد بن خالد الناصري (ت: ١٣١٥هـ)، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، ٢٠٠١م.

[١٧] العبدري، أبو عبدالله محمد بن محمد العبدري، (ت: ٧٠٠هـ)، *الرحلة المغربية*، (تحقيق: محمد الفاسي)، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الرباط، ١٩٦٨هـ.

[١٨] ابن عذاري، أبو العباس أحمد المراكشي (كان حياً سنة ٧١٢هـ)، *البيان المغرب (قسم الموحدين)*، (تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرين)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط.

[١٩] أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت: ٧٣٢هـ)، *تقويم البلدان*، دار صادر، بيروت، د.ت.

[٢٠] ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن القاضي المكناسي (ت ق ٧هـ)، *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م.

[٢١] القزويني، زكريا بن محمد محمود (ت: ١٢٨٣هـ)، *آثار البلاد وأخبار العباد*، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

[٢٢] الكتاني، عبدالحي عبد الكبير، *فهرس الفارس ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*، (اعتناء، إحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٢م.

[٢٣] المراكشي، أبو عبدالله محمد بن عبدالملك الأنصاري (ت: ٧٠٣هـ)، *الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة*، (تحقيق: إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.

[٢٤] المراكشي، عبدالواحد بن علي (ت: ٦٤٧هـ)، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، (تحقيق: محمد سعيد العريان)، لجنة تحقيق التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

[٢٥] المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ)، *نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب*، (تحقيق: إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

[٢٦] المنذري، ذكي الدين أبو محمد عبدالعظيم عبدالقوي (ت: ٦٥٦هـ)، *التكملة لوفيات النقلة*، (تحقيق: بشار عواد معروف)، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

[٢٧] ابن هشام، الإمام أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري ت: ٢١٣هـ)، *السيرة النبوية لابن هشام*، (حققها وشرحها، مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري)، دار الكنوز الأدبية، د.ط، د.ت.

[٢٨] الوادي آشي، محمد بن جابر القيسي، (ت: ٧٤٩/١٣٤٨م)، *برنامج الوادي آش*، (تحقيق: محمد محفوظ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

ثالثاً: المراجع العربية

[٢٩] أرسلان، شكيب، *الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية*، المطبعة الرحمانية، مصر، ط١، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

[٣٠] البكر، خالد بن عبدالكريم، *الرحلة الأندلسية إلى الجزيرة العربية*، (من القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

[٣١] حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، دار العلوم الحديثة، بيروت، د.ط.

[٣٢] حسين، حسني محمود، *أدب الرحلة عند العرب*، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

[٣٣] حميده، عبدالرحمن، *أعلام الجغرافيين العرب ومقتضبات من آثارهم*، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

[٣٤] رداوي، محمد، *الرحلات العربية والإسلامية وأعلامها في الأدب العربي القديم والمعاصر "دراسة.. ونصوص"*، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

[٣٥] زيادة، نقولا. *الجغرافية والرحلات عند العرب*، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٢م.

[٣٦] السباعي، أحمد، *تاريخ مكة*، مطبعة مكة المكرمة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٧٩م.

[٣٧] الشوابكة، نوال عبدالرحمن. *أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري*، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢٨هـ.

[٣٨] طقوش، محمد سهيل، *تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى*، دار النفائس، ص١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

[٣٩] كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليا نوفس، *تاريخ الأدب الجغرافي*، (نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم)، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م.

[٤٠] موافي، عثمان، *أدب الرحلة (دراسة نقدية)*، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط١، ١٩٩٨م.

[٤١] مؤنس، حسين. *تاريخ الجغرافية والجغرافيين ي الأندلس*، د.ن، ط٢، مدريد، ١٩٨٦م.

رابعاً: الرسائل الجامعية

[٤٢] الشريف، فريال عبدالحميد، *مكة المكرمة كما جاءت في كتب الرحالة المسلمين (منذ القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري)*، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ١٤٠٠ - ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠ - ١٩٨٤م.

[٤٣] العبدلي، عائشة مانع بن عبيد، *المرأة في مكة ودورها الحضاري خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٩٢٣هـ/ ١١٦٤ -١٥١٧م)*، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

[٤٤] نواب، عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين (دراسة تحليلية نقدية مقارنة)، رسالة ماجستير (منشورة)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

خامساً: المقالات والدوريات العلمية

[٤٥] أبو الأجفان، محمد الهادي، *رحلات الأندلسيين إلى الحرمين، (السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات)*، ق٢، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، جـ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

[٤٦] الترغي، عبدالله المرابط، *فهارس علماء المغرب (منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة) منهجيتها - تطورها - قيمتها العلمية*، (منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان)، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[٤٧] الجمحة، نواف عبدالعزيز، صورة أوضاع المسلمين تحت الإدارة الصقلية النورمانية من خلال رحلة ابن جبير، *مجلة كلية الآداب*، جامعة المنصورة، ٢٠٠٤م.

[٤٨] السري، أحمد علي، صورة المرأة في كتب الرحلة في عصر الحضارة الإسلامية، *مجلة كان التاريخية*، العدد٣١، السنة٩، مارس ٢٠١٦م.

سادساً: المراجع الأجنبية

[49] Scott,Samuel,History.oftheMorishEmpireinEurope,phildehlphia,1940, p14.

Features of the conditions of Muslim women as noted by ibn Jubeir Andalusian in his journey

Dr. Mona Hussain Alqahtani
Associate Professor of Islamic History
Princess Norah University

Abstract. Journey books contain a lot of information and references to the reality of Arab Muslim Woman who are worthy of research and study particularly as women studies are still rare and need more study and research that reveal mystery and enlighten the reader about the status of woman in Arab communities in different civilizational respects and in the general life with its positive and negative aspects, by tracking the journey of IbnJubayr Al Andalusi, subject of study, who lived in the 6th century AH\11th century AD.

IbnJubayr visited several Islamic territories starting from Egypt, Hegaz, Mesopotamia and Levant, and ending with Sicily cities in which he wrote his civilizational visions of the reality of woman, which contributed greatly to exploring the status of Muslim community in which woman constitutes a pillar. The research aims at highlighting these visions in this journey. The study will focus on research, collection and analysis of these visions in light of the culture of the community that was dominant at that time.